كلية الدراسات العليا

قسم أصول الدين

التفسير وعلوم القرآن

التفسير المأثور لسورتي (ق والذاريات) والوحدة الموضوعية

(دراسة وتحليل)

The Traditional Interpretation of Surat (Qaf and Al-Dhariyat) and the Thematic Unit

(Study and Analysis)

إعداد الطالبة: عائشة راضي محمود أبو طير

الرقم الجامعي: 21319016

إشراف:

د. غسان هرماس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لنيل متطلبات درجة الماجستير في أصول الدين قسم التفسير بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل- فلسطين

1441هـ- 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير المأثور لسورتي (ق والذاريات) والوحدة الموضوعية

(دراسة وتحليل)

The Traditional Interpretation of Surat (Qaf and Al-Dhariyat) and the Thematic Unit

(Study and Analysis)

إعداد الطالبة: عائشة راضي محمود أبو طير

الرقم الجامعي: 21319016

إشراف:

د. غسان هرماس

نوقشت هذه الرسالة يوم الخميس بتاريخ 2019/5/2 الموافق 27/ شعبان/1440هـ. وأجيزت من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. د. غسان هرماس	رئيس لجنة المناقشة:	التوقيع:.....
2. د. عطية صدقي الأطرش	ممتحناً داخلياً:	التوقيع:.....
3. د. إسماعيل نواهضة	ممتحناً خارجياً:	التوقيع:.....

الخليل – فلسطين

1440هـ/ 2019م

الإهـــداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار . . . إلى من علمني العطاء بدون انتظار . . . إلى من أحمل اسمه بكل افتخار . . . أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد . . . والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة . . . إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني . . . إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب . . . . أمي الحبيبة

إلى من عرفت معه معنى الحياة . . .إلى روح زوجي الطاهرة . . . رحمه الله وجعله في عليين؛ إذ كان المساند والمعين لي في إنجاز مرحلة الماجستير والوصول إلى هذه اللحظة، حيث كان رحمه الله صاحب رسالة وهمّة عالية تجلّت في تشجيعي والأخذ بيدي نحو إنجاز هذا العمل

إلى أخوتي وأخواتي ورفاق دربي . . . فحياتي لا تساوى شيء من دونكم . . .

إلى سندي في الحياة . . . . أحبائي أبنائي وبناتي الغاليات

إلى كل من قدم لي يد المساعدة في إتمام هذا البحث المتواضع .

الباحثة: عائشة أبو طير

شكر وتقدير

أشكر الله مولاي وخالقي الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا العمل المتواضع مع رجائي أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

انطلاقا من قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ (سورة البقرة:152)، وإيمانا بفضل الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والامتنان لأصحاب المعروف؛ فإني أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العظيم لكل من ساعد في إنجاح هذه الرسالة، وأخص بالذكر: أستاذي ومشرفي الفاضل "الدكتور غسان هرماس" –حفظه الله– على قبوله الإشراف على هذا البحث ومتابعته له منذ الخطوات الأولى، وعلى ما منحني من صدر واسع ونصح وإرشاد ساعد على إخراج هذا العمل بهذه الصورة. أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بخالص الشكر إلى عضويّ المناقشة الدكتور عطية الأطرش والدكتور إسماعيل نواهضة حفظهما الله على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث وإثرائه بالنصائح والتوجيهات التي تساعد في إخراجه بأفضل صورة، والله أسأل أن يجزل لهم الثواب ويجعل عملهم هذا في ميزان حسناتهم.

كما وأتقدم بالعرفان والتقدير لجامعتي "جامعة الخليل" التي شقت طريقاً صعباً حتى وصلت إلى هذه المكانة العالية بين أصرحة العلم العالمية رئاسة وعمادة وأساتذة وإداريين.

وشكري موصول لكلية الدراسات العليا بأقسامها عميداً وأساتذةً ومدرسين الذين كان لهم فضل التدريس في مرحلة الماجستير.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأفراد عائلتي جميعا على تشجيعهم ومساعدتهم لي حتى أتممت بحثي هذا.

ولا أنسى شكري الجزيل إدارة مدرستي وزميلاتي في العمل، وكذلك زميلاتي في دراسة الماجستير، وكل من أعان على إنجاح هذا البحث بإسداء معروف، أو بتقديم خدمة مهما كانت، أو بدعاء لي في ظهر الغيب، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء .

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى صديقتي المخلصة (ميرفت سعدة) التي تعبت وكدّت في طباعة هذه الرسالة وتعديلها وتنسيقها بصدر رحب وبأكمل وجه، فجزاها الله عني كل خير.

وختاماً آمل من الله أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث بالطريقة التي تنفع الإسلام والمسلمين، وتخدم الدارسين، وأن أنال رضا الله –تعالى–.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
فهرس الموضوعات	ث
ملخص الدراسة باللغة العربية	خ
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	ذ
مقدمة	ز
الفصل الأول: **نبذة عن التفسير المأثور والتعريف بسورتي (ق والذاريات)**	1
• **المبحث الأول: التفسير المأثور، معناه وأنواعه وأهميته**	2
– المطلب الأول: معنى التفسير المأثور	3
– المطلب الثاني: أنواع التفسير بالمأثور وأهميته	7
• **المبحث الثاني: التعريف بسورتي (ق والذاريات)**	13
– المطلب الأول: التعريف بسورة "ق"	14
– المطلب الثاني: مقاصد سورة "ق"	16
– المطلب الثالث: التعريف بسورة "الذاريات"	20
– المطلب الرابع: مقاصد سورة "الذاريات"	22
الفصل الثاني: **التفسير المأثور لسورة "ق"**	25
• **المبحث الأول: إنكار المشركين البعث والرد عليهم**	26
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:1–11) لما قبلها، والمعنى العام لها	26
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:1–11)	28
• **المبحث الثاني: التذكير بحال المكذبين الأولين**	37
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:12–15) لما قبلها والمعنى العام لها	37
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:12–15)	39

• **المبحث الثالث: تقرير خلق الإنسان والعلم بأحواله**	42
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات: 16–22) لما قبلها، والمعنى العام لها	42
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:16–22)	44
• **المبحث الرابع: الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان يوم القيامة**	50
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:23–30) لما قبلها، والمعنى العام لها	50
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:23–30)	52
• **المبحث الخامس: حال المتقين وجزاؤهم وأوصافهم**	58
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:31–35) لما قبلها والمعنى العام لها	58
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:31–35)	60
• **المبحث السادس: تهديد منكري البعث واثباته لهم مرة أخرى وأوامر للرسول –صلى الله عليه وسلم–**	63
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:36–45) لما قبلها والمعنى العام له	63
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:36–45)	66
الفصل الثالث: التفسير المأثور لسورة "الذاريات"	72
• **المبحث الأول: القسم على وقوع البعث**	73
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:1–14) لما قبلها والمعنى العام لها	73
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:1–14)	75
• **المبحث الثاني: جزاء المتقين وأوصافهم**	80
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:15–23) لما قبلها، والمعنى العام لها	80
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:15–23)	82
• **المبحث الثالث: قصة ضيف إبراهيم عليه السلام ومهمتهم في إهلاك قوم لوط– عليه السلام**	86
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:24–37) لما قبلها، والمعنى العام لها	86
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:24–37)	89
• **المبحث الرابع: قصص أنبياء آخرين مع أقوامهم**	93
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:38–46) لما قبلها والمعنى العام لها	93
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:38–46)	95

• **المبحث الخامس: إثبات وحدانية الله وعظيم قدرته**	99
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:47–51) لما قبلها، والمعنى العام لها	99
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:47–51)	100
• **المبحث السادس: تهديد المشركين بالعذاب لتكذيب النبي–صلى الله عليه وسلم–**	103
– المطلب الأول: مناسبة (الآيات:52–60) لما قبلها والمعنى العام لها	103
– المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:52–60)	105
الخاتمة	109
الفهارس العلمية	111
فهرس الآيات القرآنية	112
فهرس الأعلام المترجم لهم	114
فهرس المصادر والمراجع	115

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة تفسير سورتي "ق" و "الذاريات" من حيث التفسير المأثور، والوحدة الموضوعية فيهما، وذلك من خلال التنقيب في بطون الكتب عن جهود جهابذة التفسير وأئمته وعلمائه الكرام، وقد كان جُلّ التركيز في باب التفسير بالمأثور على تفسيريِّ الإمامين الطبري، والسيوطي –رحمهما الله تعالى–؛ وذلك لاشتمالهما على جمع الروايات المأثورة المفسرِة لآيات سورتي "ق" و"الذاريات". أما فيما يتعلق بالوحدة الموضوعية فقد استعنتُ بكتب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة، ثلاثة فصول، وخاتمة.

بينت في المقدمة عنوان البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة له، ومنهجه، ومحتواه.

وذكرتُ في الفصل الأول: نبذة عن التفسير المأثور، والتعريف بسورتي (ق والذاريات)، وجعلته في مبحثين: المبحث الأول: نبذة عن التفسير المأثور معناه وأنواعه وأهميته، والمبحث الثاني: التعريف بسورتي "ق" و"الذاريات" تضمن الحديث عن التعريف بالسورتين، ومقاصد كل سورة.

وأما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن التفسير المأثور لسورة (ق)، وجاء في ستة مباحث: المبحث الأول المبحث الأول: إنكار المشركين البعث والردُّ عليهم، والمبحث الثاني: التذكير بحال المكذبين الأولين، والمبحث الثالث: تقرير خلق الإنسان والعلم بأحواله، والمبحث الرابع: الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان يوم القيامة، والمبحث الخامس: حال المتقين وجزاؤهم

وأوصافهم، والمبحث السادس: تهديد منكري البعث واثباته لهم مرة أخرى وأوامر للرسول –صلى الله عليه وسلم–.

وأما في الفصل الثالث فتحدثت فيه عن التفسير المأثور لسورة (الذاريات)، وجاء في ستة مباحث: المبحث الأوّل: القسم على وقوع البعث، والمبحث الثاني: جزاء المتقين وأوصافهم، والمبحث الثالث: قصة ضيف إبراهيم –عليه السلام– ومهمتهم في إهلاك قوم لوط –عليه السلام–، والمبحث الرابع: قصص أنبياء آخرين مع أقوامهم، والمبحث الخامس: إثبات وحدانية الله وعظيم قدرته، والمبحث السادس: تهديد المشركين بالعذاب لتكذيب النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وفي خاتمة البحث عرضت أهم النتائج التي توصّلت إليها، ثمّ ذكرت المراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث.

Abstract

This research aims at investigating the interpretation of the two *Surahs: (Qaf)* and *(Al-Thariyat)* in terms of *Tafsir Bil-Mathur* (*Inter-textual interpretation*) and the objective unity. The examination of this interpretation is carried out by researching great books prepared by esteemed scholars and *Imams* of the interpretation of the Quran. In terms of *Tafsir Bil-Mathur*, the research focused intensively on *Imam al-Tabari* and *Al-Sayouti*, *May their souls rest in peace*, whose books included all inter-textual narrations that interpret the two *Surahs: (Qaf)* and *(Al-Thariyat)*. As for the objective unity, the researcher relied on the objective interpretations of the Holy Quran. The research consists of an introduction, three chapters, and a conclusion.

The Introduction included the title of the research, reasons, objectives, significance, previous studies, methodology, and contents.

As for Chapter One, it included an overview of *Tafsir Bil-Mathur* and the two *Surahs: (Qaf)* and *(Al-Thariyat)*. The Chapter included two sections; the first included an overview of *Tafsir Bil-Mathur*, definition, types, and significance. Additionally, the second section included an overview of the two *Surahs: (Qaf)* and *(Al-Thariyat*, and the purposes of each Surah.

The Second Chapter I talked about *Tafsir Bil-Mathur* for *Surah (Qaf)* . It included (6) sections: the first talked about infidels' denial of resurrection and a response to them, while the second section discussed a reminder of the first rejecters, and the third section included a report on the creation of the man and their words. As for the fourth section, it included a dialogue between the infidel and evil companion on the Day of

Resurrection, the fifth section talked about the status of righteous, their rewards and qualities, while the sixth section talked about threatening polytheists of torture because of their denial of the prophet, peace be upon him.

The Third Chapter I talked about *Tafsir Bil-Mathur* for *Surah (Al-Thariya)*. It included (6) sections: the first talked about section on the occurrence of the resurrection, while the second section talked about the status of righteous, their rewards and qualities, and the third section talked about the story of the guest of Abraham, *peace be upon them*, and their mission to destroy the people of Lot, the forth section included stories of other prophets with their people, the fifth section talked about the proof of the Oneness of God and His great power, while the sixth section talked about threatening polytheists of torture because of their denial of the prophet, peace be upon him.

In conclusion, the research presented key results, then the main references that are used during the preparation of this research.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أفضلُ الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى، أنزله هدايةً للبشرية، وإيقاظًا لهم من دياجير الظلام، وانتشالًا لهم من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الهداية والعلم، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبودية الطواغيت إلى عبودية الله الواحد القهار دون سواه.

ولقد حثّ الله –سبحانه وتعالى– في أكثر من موضع على تدبر القرآن الكريم، والبحث في معانيه، والغوص في أعماقه للكشف على آلائه المكنونة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء:82).

ويمكن القول أن أبدع التفسير ما كان تفسيرًا للقرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بقول النبي –صلى الله عليه وسلم– وسنته، ثم بتفسير وكلام الصحابة والتابعين –رضوان الله عليهم–، غير أنَّ التفسير لم يتوقف عند حدٍّ معين ولا زمن محدد، بل استمر، واتضح، واتّسع بتوسّع واتّساع واتّضاح العلوم والأفهام، حيث انكَبَّ المفسرون العظماء، والعلماء الأفذاذ على مرِّ العصور والأزمنة، على كتاب الله –تعالى– دراسةً، وتفسيرًا، وفهمًا، وتحليلًا في شتى المواضيع والفنون التي تشعب إليها علم التفسير.

وفي هذا المقام، وعند كل مقام يسمو الإنسان بنفسه بالحديث عن هذا العلم، لا بد من التنويه إلى مكانة إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري في تفسيره المسمى (جامع البيان عن

تأويل آي القرآن)، حيث اعتمدت هذا المرجع كمرجع أساس في هذا البحث المتواضع، إضافة إلى تفسير الشيخ المفسِّر الإمامِ السيوطي الموسوم (بالدرِّ المنثور في التفسير بالمأثور).

هذا بالإضافة إلى البحث عن الوحدة الموضوعية في السورتين الكريمتين وهو نوع من أنواع التفسير الموضوعي قلّما يجده القارئ في كتب التفسير؛ لذلك اجتهدت قدر ما يسر الله لي أن أظهر الوحدة الموضوعية في كل سورة بناءً على فهمي للموضوع.

فموضوع بحثي التفسير المأثور في سورتي "ق" و"الذاريات" دراسةً وتحليلًا، بالإضافة إلى دراسة جوانب الوحدة الموضوعية بين كل مجموعة من آيات السورتين الكريمتين، والوحدة الموضوعية لكل سورة بشكل متكامل، والتناسب في كل سورة على حدة.

أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيار الباحثة موضوع التفسير المأثور لسورتي (ق والذاريات) والوحدة الموضوعية دراسةً وتحليلاً لم يكن وليد المصادفة ودون سابق تفكير، إنما اختارت الباحثة هذه الدراسة لعدة أمور منها:

1. لعدم وقوف الباحثة على دراسة سابقة تجمع تفسير سورتي (ق والذاريات) بالمأثور للإمامين –الطبري والسيوطي–. ولما في السورتين من دروس وعبر ليستفيد منها المسلمون في هذا العصر –عصر المادية الطاغية– الذي تفشت فيه الغفلة عن الآخرة والبعث.
2. الرغبة في اكتساب مهارة نقد الروايات والاخبار.

3. الاهتمام بهذا النوع من أنواع التفسير –التفسير بالمأثور–، والرغبة في تنقيته من الروايات الدخيلة.
4. المقارنة بين الأقوال المأثورة في سورتي (ق والذاريات) للخروج بأرجحها وأحسنها، خاصة عند الإمامين الطبري (ت:310هـ) الذي يمثل الفترة الأقدم في التفسير مما وصل إلينا، والإمام السيوطي (ت:911هـ) الذي عُرِف بكثرة الرواية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث في الأمور الآتية:

1. إن في هذا البحث بياناً لما صح من التفسير المأثور في سورتي (ق والذاريات) مما لم يصح.
2. إن هذا البحث يسهل على الباحثين في التفسير الوقوف على ما ورد من التفسير المأثور في سورتي (ق والذاريات)، فهو يجمع ما تفرق من التفسير المأثور فيهما في مؤلّف واحد.
3. إثراء المكتبة الإسلامية بالتفسير المأثور في سورتي (ق والذاريات).
4. قد يكون هذا البحث مقدمة لمجموعة أبحاث أخرى مشابهة تخدم القرآن الكريم.

أهداف البحث:

يمكن أن تتلخص أهداف البحث في الأمور التالية:

1. توضيح المقصود بالتفسير المأثور من خلال بيان معناه وأنواعه وأهميته.

2. التعريف بسورتي (ق والذاريات) من خلال بيان سبب النزول وفضل كل منهما.
3. بيان الوحدة الموضوعية في كلتا السورتين.
4. بيان ما صح من التفسير المأثور مما لم يصح في السورتين.

حدود البحث:

يقتصر البحث في هذه الدراسة للتفسير المأثور على سورتي (ق والذاريات) عند الإمامين –الطبري والسيوطي–، ولا يتجاوزهما إلى غيرهما إلا حيث لزم الأمر.

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن الدراسات التي كتبت في هذا الموضوع لم أجد أي رسالة علمية تحمل هذا الاسم (التفسير بالمأثور لسورتي ق والذاريات والوحدة الموضوعية دراسةً وتحليلاً). غير أن بعض الباحثين كتب تحت هذا المسمى لكن لسور أخرى غير سورتي "ق" و"الذاريات" مثل رسالة ماجستير بعنوان "سورة (ص) التفسير بالمأثور والوحدة الموضوعية لها دراسةً وتحليلاً" للباحثة عبلة سامي اقنيبي، والمنشورة في كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل عام 2017م.

أما فيما يتعلق بالتفسير المأثور على وجهٍ عام فهو موجود في كثير من كتب التفسير، بل أفرد له بعض العلماء كتب متخصصة أمثال الطبري والسيوطي وابن كثير –رحمهم الله جميعاً–.

منهج البحث:

اعتمدتُ في هذا البحث على المنهج الوصفي بالاستفادة من المنهجين الاستقرائي والاستنباطي وفق الخطوات التالية:

1. الرجوع إلى أمهات الكتب لجمع المادة العلمية.
2. توثيق الآيات القرآنية وبيان اسم السورة ورقم الآية.
3. الرجوع إلى المعاجم اللغوية لبيان معاني المصطلحات والألفاظ الغريبة.
4. تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الرئيسة في كتب السنة.
5. الربط الموضوعي بين آيات سورتي (ق والذاريات).
6. اختارت الباحثة نُسخًا محددة من بين النسخ لتفسيري الطبري والسيوطي؛ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: إسلام منصور عبد الحميد، دار الحديث- القاهرة، 2010م)، و(الدّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر - القاهرة 2003م).
7. اعتمدت الباحثة حكم المحققيْنِ أعلاه -إسلام منصور وعبدالله التركي- على روايات الكتابين، وأما الآثار الكثيرة التي لم يحكم على درجة صحتها المحقق عبدالله التركي فإن الباحث يعتمد على أحكام محدثين ومحققين آخرين عليها.
8. ذِكر قول الإمام الطبري بدايةً إذا اقتضت الحاجة لذلك؛ كالإشارة لوجود اختلاف بين أقوال المفسرين، أو تعدد الأقوال في مسألة ما. ثم سرد ما جاء عنده من المأثور؛ فإن أورد روايةً واحدة ذكرها الباحثة -ولو كانت ضعيفةً مع النص على ذلك والتنبيه

عليه؛ لعدم وجود غيرها، ولمقارنتها بما جاء عند الإمام السيوطي-. أما إذا أورد عدة روايات في المسألة نفسها فإن الباحث يذكر أقواها وأحسنها، اعتمادًا على حكم محقق الكتاب.

9. ذِكر ما جاء عند الإمام السيوطي موافقًا لما ورد عند الإمام الطبري، والاكتفاء بحكم محقق تفسيره (إسلام منصور) على درجة صحة الرواية التي أوردها الإمام الطبري؛ وذلك لروايته الرواية بسنده.

10. ذكر ما انفرد به الإمام السيوطي عن الإمام الطبري من روايات مأثورة، وعزوها إلى مصادرها الأصيلة، والحكم على درجة صحتها. وفي حال ورود عدة روايات عنده – الإمام السيوطي- في مسألة واحدة يذكر الباحث أصح ما وقف عليه، وإن لم يتوفر إلا الضعيفة أوردها وأشار إلى ضعفها. أما الروايات التي لم تُعزَ إلى مصادرها ولم يُحكم على درجة صحتها؛ فيفهم ضمنًا أنها من الكتب المفقودة كتفسير ابن مردويه، وتفسير عبد بن حميد (عبد بن حميد له مسند، وهو مطبوع).

11. إدراج قول الإمام الطبري إفادةً منه، واستئناسًا به، حال انعدام توفر الروايات المأثورة عنده وعند الإمام السيوطي؛ لاحتمال أن يكون قد فهمها من الروايات التي لم يذكرها.

12. ذكر الروايات المختلف في درجة صحتها عند المحققين، والإشارة إلى ذلك الاختلاف.

13. بعد ذكر حكم المحدثين والمحققين على الروايات وإبراز الاختلاف فيها، تلجأ الباحثة إلى طرح الضعيف والتمسك بالصحيح؛ لإبرازه لحل التعارض، فإن تساوت الروايات في الصحة حاول الجمع بينها، وإلا فإن الترجيح بينها يكون لقرينة أو شاهد أو غيره.

14. المقارنة بين الأقوال المأثورة عن السلف في التفسير، ومحاولة الخروج بأحسنها وتجنب الشاذ منها.

محتوى البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما **المقدمة:** فذكرت فيها أسباب اختياري للموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهجي فيه.

وأما **الفصل الأول:** فذكرت فيه نبذة عن التفسير المأثور والتعريف بسورتي (ق والذاريات)، وجعلته في مبحثين:

المبحث الأول: التفسير بالمأثور، معناه، وأنواعه وأهميته.

المبحث الثاني: التعريف بسورتي (ق والذاريات).

وأما **الفصل الثاني:** التفسير المأثور لسورة (ق)، وجعلته في ستة مباحث:

المبحث الأول: إنكار المشركين البعث والرد عليهم.

المبحث الثاني: التذكير بحال المكذبين الأولين.

المبحث الثالث: تقرير خلق الإنسان والعلم بأحواله.

المبحث الرابع: الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان يوم القيامة.

المبحث الخامس: حال المتقين وجزاؤهم وأوصافهم.

المبحث السادس: تهديد منكري البعث واثباته مرة أخرى وأوامر للرسول –صلى الله عليه وسلم–

وأما **الفصل الثالث:** التفسير المأثور لسورة (الذاريات)، وجعلته في ستة مباحث:

المبحث الأول: القسم على وقوع البعث.

المبحث الثاني: جزاء المتقين وأوصافهم.

المبحث الثالث: قصة ضيف إبراهيم عليه السلام ومهمتهم في إهلاك قوم لوط.

المبحث الرابع: قصص أنبياء آخرين مع أقوامهم.

المبحث الخامس: إثبات وحدانية الله وعظيم قدرته.

المبحث السادس: تهديد المشركين بالعذاب لتكذيب النبي–صلى الله عليه وسلم–.

وفي **خاتمة الرسالة** عرضت أهم نتائج الدراسة، وتوصياتها، ثم ذكرت الفهارس، والمصادر التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الرسالة.

الفصل الأول

نبذة عن التفسير المأثور، والتعريف بسورتي (ق والذاريات)

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: التفسير بالمأثور: معناه وأنواعه وأهميته**
- **المبحث الثاني: التعريف بسورتي (ق والذاريات)**

المبحث الأول: التفسير بالمأثور: معناه، أنواعه، وأهميته

تمهيد:

علمُ تفسيرِ القرآن الكريم من أشرف العلوم، وأجلها، وأرفعها منزلةً؛ ذلك لما يتصل به بكتاب الله –تعالى– أجلّ الكتب، وأعظمها منزلة على الإطلاق، ومن هنا كان بيان كلام الله –تعالى–، والإقبال عليه، وتفسيره، وتدارسه، والغوص في مكنوناته من أشرف العلوم وأجلها، فالتفسير علم لا يَنفدُ حتى قيام الساعة، فتجد مِنَ المسلمين على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم مَنْ أقبل على دراسته، وانكب على تحليله، واستخراج معانيه، والاستزادة من علومه. ومن هنا تشعب المسلمون في تفسير القرآن الكريم، وتدارسه إلى طرائق شتى، يُلاحظ منها التفاسير القديمة: كالتفسير بالمأثور، والحديثة: كالتفسير الموضوعيّ وهو لون خاصّ من التفسير اتّجهت له الدراسات والبحوث القرآنية المعاصرة. وعلى الرغم من تشعّب أنواع التفاسير بين الماضي والحاضر إلا أنه لا بدَّ من الرجوع للتفسير بالمأثور فلا غنى عنه في أي عصر من العصور.

لذلك سأتحدّث في هذا المبحث عن التفسير بالمأثور من حيث المعنى لغةً واصلاحًا، ومن حيث أنواعه، وأهميّته.

المطلب الأول: معنى التفسير المأثور:

المسألة الأولى: معنى التفسير لغةً واصطلاحًا:

أولًا: التفسير لغةً: (فَسَرَ): الفَسْرُ البيان، فَسَرَ الشيءَ يَفسِرُه بالكَسر، وتَفْسُرُه بالضم، فَسْرًا، وفَسَّرَهُ أَبانه، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان:33)[1].

وأصل الفَسْرُ كشف المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل، واسْتَفْسَرْتُه كذا أَي: سأَلته أَن يُفَسِّره لي[2]، والتَّفْسيرُ والتأْويل لهما معنى واحد، وقال بعضهم أن التأْويل ردّ أَحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[3].

ومن معاني الفَسْر كذلك: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التَّفْسِرةُ. حيث قال الجواهري: "وقيل التَّفْسِرةُ: البول الذي يُسْتَدَلُّ به على المرض وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وهو اسم كالتَّنْهِيَةِ وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه فهو تَفْسِرَتُه"[4].

ومحور مادته هو الكشف والإيضاح، ومنه قوله –تعالى–: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان:33)، فالفسر الإبانة وكشف المغطى، يقال: فسّرت اللفظ فسرًا[5].

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت:711هـ)، **لسان العرب**، مادة فَسَرَ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ، (55/5).

[2] ينظر: المصدر السابق، (55/5).

[3] الازهري، محمد بن أحمد، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، ص279، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

[4] الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، مادة فَسَر، (212/1)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1987م.

[5] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، ص165، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ولجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت: 816هـ)، **التعريفات**، ص87، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت، 1983م.

يظهر مما سبق أن التفسير لغةً: هو الكشف والبيان.

ثانيًا: التفسير اصطلاحاً: الأصل الذي عليه العلماء أن التفسير ليس علمًا اعتباطيًا بحيث يتكلف له مَنْ شاء، فالتفسير ليس مبنيًا على قواعد وأسس وقوانين كغيره من العلوم، التي تشابه العلوم العقلية، ويُكتفى في إيضاح ماهية التفسير في كونه محاولة لبيان كلام الله تعالى، أو أنه محاولة لتبيان الألفاظ ومفهومها والوقائع التي نزلت الآيات بها.

وقد عرّفه أبو حيان[1]: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمَّات ذلك"[2]. وما يقصده ابن حيان في هذا التعريف أن التفسير علم جامع يندرج تحته أكثر من علم: كعلم القراءات، وعلم اللغة من نحو وصرف وإعراب وبيان وبديع ومعاني، ومعرفة الناسخ من المنسوخ، ومعرفة أسباب النزول، وغيرها من العلوم.

وعرفه الزركشي[3] بأنه: "علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزَّل على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه[4].

---

[1] أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الإمام العلامة ذو الفنون حجة العرب أبو حيان الأندلسي الجياني ثم الغرناطي الشافعي عالم الديار المصرية وصاحب التصانيف البديعة، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة (654هـ–1256م)، توفي عشي يوم السبت ثامن عشر من صفر سنة (745هـ–1344م). ينظر: (الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبدالله، **المعجم المختص بالمحدثين**، سنة الولادة 673هـ/ سنة الوفاة 745هـ، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، سنة النشر 1408، مكان النشر الطائف، (268/1)).

[2] أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ، ص636.

[3] الزركشي، هو محمد بن بهادر التركي الأصل، المصري المنشأ، ولد سنة 745هـ، أخذ عن جمع من الشيوخ كجمال الدين الأسنوي، والشيخ سراج الدين البلقيني، قال بعض المؤرخين كان فقيهًا أصوليًا أديبًا فاضلًا في جميع ذلك، توفي في القاهرة سنة 794. (ابن حجر، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (ت: 852هـ)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ص134، مجلس المعارف العثمانية، الهند، 1972م.

[4] الزركشي، محمد بن بهادر، (ت:794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، (13/1)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى.

وَقَالَ السيوطي: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثُمّ ترتيب مكيّها ومدنيَها، ومحكمها ومتشابهها، وَناسخِها ومَنْسُوخِها، وَخاصِها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها، ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها[1].

ترى الباحثة أن هذه التعاريف مختلفة الألفاظ متحدة المعنى، وهذا الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد، فكلٌ كان يعرّف التفسير وفقًا للعلوم التي تشتهر في عصره، لذا فإن علم التفسير: هو علم يبحث في مراد الله –سبحانه وتعالى– في كتابه القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية.

المسألة الثانية: معنى المأثور لغةً واصطلاحاً.

أولًا: المأثور لغةً.

من الأثر: الخبر، وجمعها آثار ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(يس:12)، ومنه حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضاً؛ أي ينقله خلف عن سلف، يقال منه أثرت الحديث فهو مأثور[2].

وعن الفراهيدي: :أَثرُ الحديث: أَنْ يأثِرَه قَوْمٌ عن قَوْمٍ، أي: يُحدَّثُ به في آثارهم، أي: بَعْدَهم، والمصدر: الأَثارةُ"[3].

---

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ) **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م، (428/1).

[2] انظر: ابن منظور، لسان العرب، (5/4)، الزبيدي، محمد بن محمد، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (16/10)، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

[3] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت: 170هـ)، **العين**، (164/2)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال، العراق، د.ت.

ثانيًا: التفسير المأثور اصطلاحاً:

عرّفه الزرقاني[1]: (هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانًا لمراد الله تعالى من كتابه)[2]، وعرّفه الرومي: (هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم. فهو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته) [3].

ويشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم[4].

وعلى ذلك فإن التفسير بالمأثور لم يظهر كمصطلح مستقل إلا بعد السيوطي –رحمه الله تعالى– في تفسيره الموسوم بـ"الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، وقبل هذا الكتاب كان يعرف بالتفسير النقلي فلم يجرِ استعماله مع أن معناه كان معروفًا وشائعًا.

والتفسير النقلي: هو المستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآيات. وكل ذلك لا يُعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين[5].

---

[1] محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (بضم الزاي): من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر. ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية. ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن)، (الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: 1396هـ)، **الأعلام**، (210/6)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة عشر، 2010م).

[2] الزرقاني، الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1376هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سوريا، الطبعة: الثالثة، 1943م، (12/2).

[3] الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 1، (151/1).

[4] الذهبي، محمد السيد حسين، (ت: 1398هـ)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م. (22/1).

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، (ت: 808هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، ص348، دار الفكر للطباعة والنشر، 1988م.

ولأن الصحابة –رضوان الله عليهم– هم الذين نزل القرآن بلغتهم، وشاهدوا وعاينوا وعايشوا أسباب نزوله، وعرفوا أحوال من نزل عليه –صلى الله عليه وسلم–، وتدارسوه في حياته وبعد وفاته، كانوا هم الأقدر على فهم معانيه، واستنباط أحكامه ممن جاء بعدهم.

ثم نقلوه لجيل التابعين الذين حملوا راية التفسير، ونقلوه لأتباع التابعين، الذين صار التفسير في جيلهم بين التفسير النقلي المحض، والتفسير الذي يدخله الاجتهاد، وعليهم يكاد يتوقف النقل، إذ لم يُنقل عن الطبقة التي بعدهم شيءٌ يُذكر في التفسير[1]. وترى الباحثة أن التفسير القرآن بالقرآن داخل في مفهوم التفسير بالمأثور، وتخلص الباحثة بتعريف المأثور اصطلاحًا: أنه ما جاء في القرآن والسّنّة أو كلام الصحابة أو كلام التابعين بيانًا لمراد الله تعالى.

المطلب الثاني: أنواع التفسير بالمأثور وأهميته

يتبين من تعريف التفسير المأثور أنه ذاك التفسير الذي لا مجال للاعتماد على الرأي فيه، بل معانيه التفسيرية موجودة في ثناياه، وسأتناول في هذا الجانب الحديث عن أنواع التفسير بالمأثور وأهميته.

المسألة الأولى: أنواع التفسير بالمأثور:

للتفسير المأثور أربعة أنواع وهي:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

"إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة،

---

[1] الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، ص134، دار ابن جوزي، الرياض، الطبعة: الثانية، 1428هـ.

فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"[1]، مثال ذلك قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (يونس:62)، فقد فُسر "أولياء الله" بقوله في الآية التي تليها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس:63)، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾(الطارق:2) فقد فسر الطارق بقوله في الآية التالية: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الطارق:3)، وقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة:6-7) فقد بين الله من هم الذين أنعم عليهم بقوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء:69)[2].

ولا يقتصر تفسير القرآن بالقرآن على ذلك فحسب، بل هو أوسع منه بكثير، ومثال ذلك القصة القرآنية؛ فلو تأملت القصة في القرآن لوجدت أن القصة الواحدة ذكرت بعدة أساليب وبعدة صور، ولكنها في كل مرة تكون متناسبة مع ما يجاورها من الآيات، مكملة بعضها بعضاً، في كل موضع تعطينا صورة واضحة كاملة تامة[3].

---

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، (ت:728هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ- 1980م، (39/1).

[2] الطيار، **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، ص134.

[3] حجازي، محمد محمود، **الوحدة الموضوعية في القرآن**، ص62، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1970م.

ثانيًا: تفسير القرآن بالسنّة:

يُفسّر القرآنُ بالسنّةِ؛ لأن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مبلّغ عن الله تعالى، فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى، وهو المبين لمراد الله تعالى، وكان الصحابة يرجعون إليه إذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات. ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة:7) فقد فسر النبي–صلى الله عليه وسلم– الآية كما ثبت في من حديث عدي بن حاتم[1] عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "**اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضُلّال**"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ (الأنفال:60) فقد فسر النبي – صلى الله عليه وسلم– القوّة بالرّمي[3].

ثالثًا: تفسير القرآن بما ورد عن الصحابة:

الصحابة –رضوان الله عليهم– هم أهل التفسير ذاك أن القرآن نزل بينهم، ولِما شاهدوا وعاينوا من الأحوال والوقائع التي نزل فيها القرآن الكريم، ولِما لهم من الفهم التام، والعلم

---

[1] عدي بن حاتم، الصحابي الجليل، وَلدُ حاتم طائي المضروب به المثل بجوده وكرمه، وفد على النبي –صلى الله عليه وسلم– سنة سبع فأكرمه واحترمه، وتوفي سنة سبع وستين. (الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، (163/3)، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1985م).

[2] رواه الترمذي في سننه، محمد بن عيسى بن سورة، (ت: 279هـ)، **الجامع الكبير– سنن الترمذي**، حديث رقم 2954، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، دار الغرب الإسلامي للنشر، بيروت، 1972م. وقد صححه الألباني محمد بن ناصر، (ت: 1999م)، **سنن الترمذي مع أحكام الألباني**، ص661، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

[3] رواه مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، (57/6)، حديث رقم 5055، كتاب الإمارة، باب الرمي والحث عليه وذم من تعلمه ونسيه، مجموعة من تحقيقين، دار الجيل، بيروت، 2010م.

الصحيح، ولا سيما الخلفاء الراشدون، والأئمة الكبار أمثال: عبد الله بن مسعود وحبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–.

وعن تفسير القرآن بما صحّ وروده عن الصّحابة –رضوان الله عليهم– قال الحاكم في المستدرك: "إن تفسير الصحابيّ الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع"، كذلك أطلق الحاكم، وقيّده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو من الموقوف[1].

ووجهة نظر الحاكم ومن وافقه أنّ الصحابة –رضوان الله– عليهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا، وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه[2].

ومن التفاسير المنقولة عن الصحابة –رضوان الله عليهم– أنّ ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: تدرون ما ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ (يس:42)؟ قلنا: لا. قال: هي السفن جُعلت من بعد سفينة نوح على مثلها[3].

رابعًا: تفسير القرآن بما صحّ عن التابعين:

إذا لم نجد التّفسير في القرآن الكريم، ولا في السنّة، ولا عند الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين، وقد وقع فيه خلاف العلماء منهم من اعتبره من المأثور؛ لأنّهم تلقوه من الصحابة غالباً، ومنهم من قال إنه من التّفسير بالرأي.

---

[1] الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، (215/5)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

[2] الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (284/2).

[3] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، (523/9)، تحقيق: اسلام منصور عبد الحميد، دار الحديث –القاهرة، الطبعة: الأولى، 1431هـ– 2010م. [ضعيف].

وفي تفسير ابن جرير الطبريّ كثير من النقول عن الصحابة والتابعين في بيان القرآن الكريم[1]. فقد تنازع العلماء في الرجوع إلى تفسير التابعين فريق يمنع وآخر يؤيد لاستبعاد السماع من النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومشاهدة القرائن والمناسبات التي وافقت نزول الوحي مقارنةً مع الصحابة، وترى الباحثة الأخذ بأقوال التابعين لأنهم أخذوا تفسيراتهم عن الصحابة –رضوان الله عليهم–.

المسألة الثانية: أهمية التفسير بالمأثور:

بعد الإتيان بالحديث عن التفسير بالمأثور، وأنواعه، تتضح بشكل جلي أهمية هذا النوع من التفسير، وأهميّة تدارسه، والعناية به، والحذر من تجاوزه، وذلك يرجع إلى المنزلة التي يتربّع عليها هذا اللون من التفسير؛ وذلك لما اتصل بقريب عهدٍ من الوحي، ولما له من فضل التدوين في فترات مبكرة[2].

ومما يدلّ على أهمية هذا النوع من التفسير تخصيص علماء السنن الأوائل أبوابًا خاصة لجمع هذه الأقوال، ودراسة أسانيدها، والتأكد من ثبوتها لأصحابها.

وتتجلى الأهمية الكبيرة أيضًا لهذا النوع من التفسير أنه نتاج تدبر الصحابة والتابعين للقرآن لما لهم من قريب عهدٍ بالوحي، ومعرفة أسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، ومكيه ومدنيه، والكثير من العلوم القرآنية التي لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح.

كذلك فإن قيمة هذا النوع من التفسير راجعة أصلا إلى قيمة مصادره الأصليّة، التي هي أفضل المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في الدارسات القرآنية، ومن ضمنها التفسير. وأكّد

---

[1] الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القران**، (13/2).

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1984م)، **التحرير والتنوير– تحرير العقل السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، (275/26)، الدار التونسية للنشر، 1984م.

القرطبي على أهمية المأثور في فهم ظاهر القرآن، خصوصا غرائبه اللّغوية، التي لا بدّ فيها من الرّجوع إلى الروايات لفهم الآيات القرآنية[1].

وبعد التعرف على التفسير المأثور، من حيث معناه في اللغة والاصلاح، وأنواعه، وأهميته بالنسبة لتفسير القرآن الكريم. ففي المبحث الثاني سأُعرّف بسورتي (ق والذاريات)، من حيث سبب نزولهما، وعدد آياتهما، ومقاصدهما، والتناسب بينهما.

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (275/26).

المبحث الثّاني: التعريف بسورتي (ق والذاريات)

تمهيد:

سورتي "ق" و "الذاريات" من سور القرآن الكريم المكية، وتعالج كل منهما مواضيع شتى: كالعقيدة الإسلامية، والوحدانية، والبعث والنشور، وافتتحت كل من السورتين بصيغة قسم، بيد أن سورة ""ق" ابتُدئت بأحد الحروف المقطّعة، ثم تلا ذلك صيغة القسم، في حين أن الذاريات افتتحت بصيغة القسم مباشرة.

وسورة "ق" سورة مكية النزول قرأها وتلاها وبيّن أسرارها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في خطبة جمعته على منبره، حتى حفظ بعض الصحابة هذه السورة من فيه الرطب – صلوات الله وسلامه عليه–.

وفي هذا المبحث سيتم تناول السورتين من ناحية التعريف العام بكل سورة، ومقاصد كل سورة،

ويأتي هذا المبحث في أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بسورة "ق".

المطلب الثاني: مقاصد سورة "ق".

المطلب الثالث: التعريف بسورة "الذاريات".

المطلب الرابع: مقاصد سورة "الذاريات.

المطلب الأول: التعريف بسورة "ق"

يشتمل هذا المطلب على تعريف عام بسورة (ق)، وسبب نزول الآية:38، ومناسبة السورة لما قبلها، وتناسب فواتحها مع خواتمها.

سورة ق من السّور المكيّة التي نزلت قبل هجرة النَّبي –عليه الصّلاة والسّلام– باستثناء الآية الثَّامنة والثَّلاثين منها، وعدد آياتها خمسٌ وأربعون آيةً، وهي السّورة رقم خمسين في ترتيب سور القرآن الكريم، والسّورة الرّابعةُ والثّلاثون في ترتيب نزول السّور على الرَّسول عليه الصّلاة والسّلام، وعدد كلماتها ثلاثُ مئةٍ وثلاثٌ وسبعون، وقد نزلت بعد سورة المُرسلات وقبل سورة البلد، وهي في الجزء السّادس والعشرين من القرآن الكريم [1].

ولقد جاء في سبب نزول الآية الثامنة والثلاثين من هذه السورة الكريمة –﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾–: (قال الحسن وقتادة: قالت اليهود: إن الله خلق الخلق في ستة أيام واستراح يوم السابع وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ذكر الرواية: أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد التميمي قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: أخبرنا هناد بن السري قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعد البقال، عن عكرمة عن ابن عباس أن اليهود أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – فسألت عن خلق السموات والأرض فقال: "خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من المنافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء وخلق يوم

---

[1] الداني، عثمان بن سعيد، (ت: 444هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، (231/1)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، 1414هـ– 1994م.

الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر"، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: "ثم استوى على العرش"، قالوا: قد أصبت لو تممت ثم استراح، فغضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غضبا شديدا، فنزلت: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[1].

وعلى ضوء ما سبق ترى الباحثة أن سورة (ق) من السور المكية الخالصة، وذلك لضعف سند الأثر الوارد، وكما أن القرآن المكي قرآن خوطِب به أهل مكة في الأصل، ولم يسكن اليهود مكة إنما سكوا المدينة.

مناسبة سورة (ق) لما قبلها.

أما بالنسبة لمناسبة سورة ق لما قبلها– الحجرات–؛ (أن الله أشار في آخر السورة السابقة إلى أن إيمان أولئك الأعراب لم يكن إيمانا حقا، وذلك يقتضى إنكار النبوة وإنكار البعث، وافتتح هذه السورة بما يتعلق بذلك)[2] .

تناسب فواتح سورة (ق) مع خواتيمها:

سورة (ق) هي السورة الخمسون؛ خمسون سورة متتابعة فيها تناسب وتناغم بين البدايات والنهايات. حيث جاء ذكر القرآن في أولها ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ (ق:1). وآخرها قوله تعالى:﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:45)

---

[1] الواحدي، أبو الحسن علي، (ت: 468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، ص413، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى. أخرجه الحاكم (**المستدرك**: 543/2) من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة به، وإسناده ضعيف بسبب البقال (**تقريب التهذيب**: 305/1 – رقم: 252) ويشهد له: ما أخرجه ابن جرير (**جامع البيان**: 346/10) عن أبي بكر –رضي الله عنه– نحوه، وإسناده ضعيف، بسبب ابن حميد (تقريب التهذيب: (156/2) – رقم: 159).

[2] المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، (150/26)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ.

حيث أقسم في البداية بالقرآن، ثم أمر بالتذكير به في النهاية وهذا ارتباط وثيق من البداية للنهاية[1]. وقال في البداية: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾(ق:6) وقال في النهاية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾(ق:38) ما مسنا من لغوب لا كلل ولا فتور، لغوب أي كلل وفتور وفعلها لَغَب. أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وما مسنا من لغوب، هذا ارتباط وثيق[2].

المطلب الثاني: مقاصد سورة "ق":

صوّر صاحب الظلال موضوعات السورة الكريمة في ثلاثة مقاطع منسجمة فيما بينها، وتتلخص على النحو الآتي:

المقطع الأول (الآيات:1-16): (يعالج قضية البعث، وإنكار المشركين له، وعجبهم من ذكره والقول به. ولكن القرآن لا يواجه إنكارهم لهذه القضية فيعالجه وحده. إنما هو يواجه قلوبهم المنحرفة ليردها أصلا إلى الحق، ويقوّم ما فيها من عوج ويحاول قبل كل شيء إيقاظ هذه القلوب وهزها لتتفتح على الحقائق الكبيرة في صلب هذا الوجود. ومن ثم لا يدخل معهم في جدل ذهني لإثبات البعث. وإنما يحيي قلوبهم لتتفكر هي وتتدبر، ويلمس وجدانهم ليتأثر بالحقائق المباشرة من حوله فيستجيب)[3].

---

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، (ت: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م، (446/18).

[2] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (447/18).

[3] سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، (3357/6)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، 1412هـ.

المقطع الثاني (الآيات: 16–35): (استطراد مع قضية البعث، التي عالجها الشوط الأول وعلاج للقلوب المكذبة بلمسات جديدة، ولكنها رهيبة مخيفة. إنها تلك الرقابة التي تحدثنا عنها في تقديم السورة. ومشاهدها التي تمثلها وتشخصها. ثم مشهد الموت وسكراته. ثم مشهد الحساب وعرض السجلات. ثم مشهد جهنم فاغرة فاها تتلمظ كلما ألقي فيها وقودها البشري تقول: (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟). وإلى جواره مشهد الجنة والنعيم والتكريم)[1].

(ثم يجيء المقطع الأخير في السورة (الآيات:36–45)، كأنه الإيقاع الأخير في اللحن، يعيد أقوى نغماته في لمس سريع. فيه لمسة التاريخ ومصارع الغابرين. وفيه لمسة الكون المفتوح وكتابه المبين. وفيه لمسة البعث والحشر في مشهد جديد)[2].

بينما قسّم صاحب كتاب التحرير والتنوير مقاصد السورة الكريمة إلى تسعة بنود، فأوردها على النحو الآتي:

أولاً: التنويه بشأن القرآن الكريم، قال –تعالى–: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ (ق:1).

ثانياً: تكذيب الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأنّه من البشر، قال –تعالى–: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ (ق:2).

ثالثاً: الاستدلال على إثبات البعث، وأنه ليس بأعظم من ابتداء خلق السماوات وما فيهن وخلق الأرض وما عليها، ونشأة النبات والثمار من ماء السماء، وأن ذلك مثال للإحياء بعد الموت. قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ

---

[1] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (3362/6).

[2] ينظر: المصدر السابق، (3366/6).

كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ (ق:3-11).

رابعاً: تشابه المشركين في تكذيبهم بالرسالة والبعث ببعض الأمم الخالية المعلومة لديهم، ووعيد هؤلاء أن يحلّ بهم ما حلّ بأولئك. قال -تعالى-: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق:12-15).

خامساً: الوعيد بعذاب الآخرة ابتداءً من وقت احتضار الواحد، وذكر هول يوم الحساب. قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (ق:16-30).

سادساً: وعد المؤمنين بالجنة. قال –تعالى–: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ (ق:31–35).

سابعاً: تثبيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وأمره بالإقبال على طاعة ربه، وإرجاء أمر المكذبين إلى يوم القيامة، وأنّ الله لو شاء لأخذهم من الآن، ولكنّ حكمته قضت بإرجائهم، وأن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يُكلف بأن يُكرههم على الإسلام، وإنّما أُمر بالتذكير بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ (ق:36).

ثامناً: الثناء على المؤمنين بالبعث بأنهم الذين يتذكّرون بالقرآن. قال –تعالى–: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ (ق:37).

تاسعاً: إحاطة علم الله تعالى بخفيات الأشياء وخواطر النفوس. قال –تعالى–:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ

حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:38-45)[1].

المطلب الثالث: التعريف بسورة "الذاريات"

يشتمل هذا المطلب على تعريف عام بسورة (الذاريات)، وسبب نزولها، ومناسبتها لما قبلها، وتناسب فواتحها مع خواتمها.

تسمى هذه السورة (والذاريات) بإثبات الواو تسمية لها بحكاية الكلمتين الواقعتين في أولها، وتسمى أيضا (سورة الذاريات) بدون الواو اقتصارا على الكلمة التي لم تقع في غيرها من سور القرآن، وكذلك هي في المصاحف التي وقفنا عليها من مشرقية ومغربية قديمة. ووجه التسمية أن هذه الكلمة لم تقع بهذه الصيغة في غيرها من سور القرآن. وهي مكية بالاتفاق. وقد عدت السورة السادسة والستين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد. نزلت بعد سورة الأحقاف وقبل سورة الغاشية، واتفق أهل عد الآيات على أن آيها ستون آية[2].

وفيما يتعلق بسبب نزول سورة الذاريات فقد نزلت في مكة، وعن قتادة[3]؛ قوله- تعالى:﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ (الذاريات:54)، ذكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية؛ اشتدَّ

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (275/26).

[2] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (335/26).

[3] قتادة بن دعامة بن قتادة بن يزيد السدوسي أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد 61هـ، روى عن: أنس بن مالك، والحسن البصري، وخالد بن دريك، وأبي العالية وغيرهم، وعنه: الأعمش، وشعبة بن الحجاج، والليث بن سعد، وغيرهم، قال الذهبي: هو حجة بالإجماع، وقال ابن حجر: ثقة ثبت رأس الطبقة الرابعة، ومات سنة 118هـ. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج، (ت: 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (498/5)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1400هـ.

على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأنّ العذاب قد حضر،

فأنزل الله –تبارك وتعالى– بعد ذلك: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات:55) فيما يُروى عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنه–[1].

وعن مجاهد[2]؛ قال: خرج علينا عليٌّ –رضي الله عنه– مُعْتَجِراً ببرد مشتملاً في خميصة، قال: لمّا نزلت: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ (الذاريات:54)؛ اشتدّ على أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، فلم يبق منّا أحد إلا أيقن بالهلكة؛ إذ أمر النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– أن يتولى عنهم، حتى نزلت: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات:54)؛ فطابت أنفسنا[3].

مناسبة سورة الذاريات لما قبلها

أما بالنسبة لمناسبتها لما قبلها – سورة ق– فتظهر مناسبتها لما قبلها من وجهين:

(1. خُتمت سورة ق بذكر البعث والجزاء والجنة والنار في قوله تعالى: (ذلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ) وافتتحت هذه السورة بالقسم بالرياح والسحب والسفن والملائكة على أن ما وعد به الناس من ذلك صادق، وأن الجزاء واقع. 2. ذكر في سورة ق إجمالا إهلاك الأمم المكذبة، كقوم نوح،

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، (399/10) [حسن].

[2] مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ مولى السائب بن أبي السائب، ولد سنة 21هـ، روى عن: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وام سليم، وعطاء، وعكرمة، وابن عون، وعمرو بن دينار، وغيرهم، قال ابن حبان: كان فقيهًا ورعًا عابدًا متقنًا، وقال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، وقال ابن حجر: ثقة إمام في التفسير والعلم، مات سنة 103هـ. (الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (25/6)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،1995م. ابن حجر، **تقريب التهذيب**، ص38، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن ادريس المنذر التميمي، (ت: 327هـ)، **الجرح والتعديل**، (315/8)، دار احياء التراث العربي، بيروت).

[3] السيوطي، **لباب النقول في أسباب التنزيل**، ص245، [ضعيف] مجاهد عن علي –رضي الله عنه– مرسل.

وعاد وثمود، ولوط وشعيب، وتبّع، وفي هذه السورة تفصيل ذلك في قصص إبراهيم ولوط وموسى وهود وصالح ونوح عليهم السلام)[1].

تناسب فواتح الذاريات مع خواتيمها

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (الذاريات:5) هذا قسم وجواب القسم ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات:6) وقال في الآخر:﴿ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:60) (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) في الآخرة إما جنة أو نار والدين هنا للحساب (وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ) (الذاريات:6). إن ما توعدون لصادق وإن الدين لواقع فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون[2].

المطلب الرابع: مقاصد سورة "الذاريات"

سورة "الذاريات" كسائر السور المكية جاءت موضوعاتها تتناول العقيدة الإسلامية، والتوحيد، والبعث والنشور، ومناقشة المشركين في عقائدهم، وإيراد قصص الأنبياء للعبرة والعظة، وبيان حال الكفار يوم القيامة، ووصف عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة.

وقد جاءت في ظلال القرآن مقاصد أخرى للسورة منها؛ تجريد القلب لعبادة الله، وتخليصه من جميع العوائق، ووصله بالسماء بالإيمان أولاً واليقين، ثم برفع الحواجز والشواغل دون الرفرفة والانطلاق إلى ذلك الأفق الكريم، كما وردت إشارات سريعة إلى حلقة من قصة إبراهيم ولوط، وقصة موسى، وقصة عاد، وقصة ثمود، وقصة قوم نوح، وفي الإشارة إلى قصة

---

[1] الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (5/27)، دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية، 1418هـ.

[2] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (447/18).

إبراهيم تلك اللمحة عن المال؛ كما أن فيها لمحة عن الغيب المكنون في تبشيره بغلام عليم، ورزقه هو وامرأته به على غير ما توقع ولا انتظار. وفي بقية القصص إشارة إلى تصديق وعد الله الذي أقسم عليه في أول السورة: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) (الذاريات:5)، والذي أشار إليه في ختامها إنذاراً للمشركين: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الذاريات:59) بعد ما ذكر أن أجيال المكذبين كأنما تواصت على التكذيب: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات:52-53)[1].

وقد أورد صاحب التحرير والتنوير موضوعات السورة في أربعة أجزاء، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: جاءت السورة ابتداءً بقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته على تحقيق وقوع البعث والجزاء، حيث قال -تعالى-: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ (الذاريات:1-6)، ثم يتكرر القسم مرة أخرى لإبطال زعم المكذبين به وبرسالة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، ورميهم بأنهم يقولون بغير تثبت، ووعيدهم بعذاب يفتنهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الذاريات:7-14).

---

[1] ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (23/7).

ثانياً: جاء في ثنايا هذه السورة المباركة وعد للمؤمنين بنعيم الخلد، وذكر ما استحقوا به تلك الدرجة من الإيمان والإحسان. قال –تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾(الذاريات:15–19).

ثالثاً: الاستدلال على وحدانيّة الله، وعلى حتميّة البعث، وعلى أنه واقع لا محالة، بما في ذلك بعض المخلوقات التي يشاهدونها، ويحسون بها دالّة على سعة قدرة الله تعالى وحكمته على ما هو أعظم من إعادة خلق الإنسان بعد فنائه، وعلى أنّه لم يخلق إلا لجزائه. قال –تعالى–: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾(الذاريات:20–23)، وقوله –تعالى–: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾(الذاريات:47–50).

رابعاً: التّعريض بالإنذار بما حاق بالأمم التي كذّبت رسل الله، وبيان الشبه التام بينهم وبين أولئك. وتلقين هؤلاء المكذبين الرجوع إلى الله وتصديق النبي –صلى الله عليه وسلم– ونبذ الشرك، ومعذرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– مِنْ تَبعة إعراضهم، والتسجيل عليهم بكفران نِعمة الخلق والرزق، ووعيدهم على ذلك بمثل ما حلّ بأمثالهم[1].

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (336/26).

الفصل الثاني:

التفسير المأثور لسورة "ق"

وفيه ستة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: إنكار المشركين البعث والرد عليهم.
- ❖ المبحث الثاني: التذكير بحال المكذبين الأولين.
- ❖ المبحث الثالث: تقرير خلق الإنسان والعلم بأحواله.
- ❖ المبحث الرابع: الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان يوم القيامة.
- ❖ المبحث الخامس: حال المتقين وجزاؤهم وأوصافهم.
- ❖ المبحث السادس: تهديد منكري البعث واثباته لهم مرة أخرى وأوامر للرسول -صلى الله عليه وسلم-.

المبحث الأول: إنكار المشركين البعث والرد عليهم

تمهيد

سورة (ق) كسائر السور المكية، تناولت في ثناياها جوانباً أساسيةً تتحدث عنها، كقضية التوحيد، والرد على المشركين وعقائدهم، وقضية نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم–، وقضية الحساب، ومن خلال التفسير بالمأثور يمكن الاطلاع على أقوال العلماء السابقين في تفسير هذه الآيات، ثم التمييز بين ما هو صحيح من هذه الأقوال وما هو مردود، وبالتالي استبعاد كل ما هو من الإسرائيليات –إن وجدت–، لذلك سأتناول في هذا الفصل الآيات الكريمة من حيث التفسير بالمأثور لها، وقد قسمت هذا الفصل إلى ستة مباحث، كل مبحث يتناول موضوعًا من موضوعات السورة المباركة، وفي كل مبحث أبين مناسبة الآيات الواردة لما قبلها، والمعنى العام لها ثم أبين ما ورد في التفسير المأثور لها، وأخيرًا المقارنة والتعليق على الأقوال الواردة.

ويتكوّن هذا المبحث من مطلبين يبحثان في إنكار المشركين البعث، والرد عليهم (الآيات:1–11)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:1–11) لما قبلها، والمعنى العام لها.

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:1–11).

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:1-11) لما قبلها، والمعنى العام لها

يتناول هذا المطلب مناسبة (الآيات:1–11) لأواخر سورة الحجرات، والمعنى العام لها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:1-11) لما قبلها:

أخبر اللَّه تعالى في آخر سورة الحجرات المتقدمة أن أولئك الأعراب الذين قالوا: آمنا، لم يكن إيمانهم حقا، وذلك دليل على إنكار النبوة وإنكار البعث، فافتتح هذه السورة بوصف إنكار المشركين نبوة النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم وإنكار البعث، ثم رد عليهم بالدليل القاطع[1].

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات

ق: حرف من حروف الهجاء افتتحت السورة به على طريقة القرآن الكريم في افتتاح بعض السور ببعض هذه الحروف للتحدي وتنبيه الأذهان، أُقسم بالقرآن ذي الكرامة والمجد والشرف: إنا أرسلناك (يا محمد) -صلى الله عليه وسلم- لتنذر الناس به، فلم يؤمن أهل مكة، بل عجبوا أن جاءهم رسول من جنسهم يُنذرهم بالبعث، فقال الكافرون: هذا شيء منكر عجيب،

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (5/27).

أبعد أن نموت ونصير تراباً نرجع؟ ذلك البعث بعد الموت رجْع بعيد الوقوع، قد علمنا ما تأخذه الأرض من أجسامهم بعد الموت، وعندنا كتاب دقيق الإحصاء والحفظ. لم يتدبروا ما جاءهم به الرسول، بل كذَّبوا به من فورهم دون تدبّر وتفكر، فهم في شأن مضطرب لا يستقرون على حال، أغفلوا فلم ينظروا إلى السماء مرفوعة فوقهم بغير عمد؟ كيف أحكمنا بناءها وزيَّناها بالكواكب، وليس فيها أي شقوق تعاب بها؟ والأرض بسطناها وارسينا فيها جبالاً ثوابت ضاربة في أعماقها، وأنبتنا فيها من كل صنف يبتهج به من النبات، يسر الناظرين. جعلنا ذلك تبصيرا وتذكيرا لكل عبد راجع إلى ربه، يُفكر في دلائل قدرته، ونزَّلنا من السماء ماء كثير الخير والبركات، فأنبتنا به جنات ذات أشجار وأزهار وثمار، وأخرجنا به حب الزرع الذى يحصد، والنخل ذاهبات إلى السماء طولاً، لها طلع متراكم بعضه فوق بعض لكثرة ما فيه من مادة الثمر، أنبتناها رزقاً للعباد، وأحيينا بالماء أرضاً جف نباتها ، كذلك خروج الموتى من القبور حين يبعثون[1].

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:1-11).

تبدأ الباحثة في عرض التفسير بالمأثور في سورة (ق) وهو هدف الدراسة وغرضها، لمقارنة وتنقيح ما جاء عند الإمامين –الطبري والسيوطي–، مستفيدةً من جهد وتحقيق من حقق وخرّج وحكم على روايات تفسيريهما، وذلك في خمس مسائل على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾

[1] لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، (766–767)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416هـ – 1995م.

اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿قٓ﴾ على أربعة أقوال: فقال بعضهم: هو اسم من أسماء الله –تعالى– أقسم به، وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن، وقال آخرون: معنى ذلك: قُضي والله –كما قيل في ﴿حمٓ﴾: حُمَّ والله–. وقال آخرون: ﴿قٓ﴾ اسم الجبل المحيط بالأرض. وأخرج الإمام الطبري بسنده روايتين في القولين الأوليين، وأصح ما جاء عند الإمامين الطبري والسيوطي في ذلك: (عن قتادة، في قوله ﴿قٓ﴾ قال: اسم من أسماء القرآن)[1]. وعزاه السيوطي: (لعبد الرزاق، وعبد بن حميد)[2].

أما بالنسبة للقول أنه اسم الجبل المحيط بالأرض فقد أورد الإمام السيوطي فيه عدّة روايات جميعها لم يقم دليل نقلي أو عقلي على صحتها، وكأن هذه – والله أعلم – من خرافات بنى إسرائيل أخذها عنهم بعض الناس[3].

تَذْكرُ الباحثةُ على سبيل المثال منها الرواية: (أخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس قال: خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلًا يقال له: ق. السماء الدنيا مُترفرفةٌ عليه، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل تلك الأرض سبع مراتٍ، ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها، ثم خلق من وراء ذلك الجبلًا يقال له: (ق) السماء الثانية مترفرفة عليه. حتى عدّ سبعَ أرضين وسبعة أبحرٍ، وسبعة أجبُلٍ، وسبع سماواتٍ، قال: وذلك

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (308/10). [صحيح]. بينما [حسّنه] صاحب **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور** (375/4)، –حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية الطبعة: الأولى، 1420هـ–1999م– والراجح أنه [صحيح].

[2] السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ) **الدّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور**، (613/13) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر – القاهرة 2003م. وعبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، (ت:211هـ)، **تفسير عبد الرزاق** (227/3)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت.، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.

[3] ينظر: الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (332/13)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى.

قوله: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ (لقمان:27))[1].

تعقيب:

إنّ موقف الإمام الطبري من الحروف المقطعة جلي في تفسيره، فهو يرى أن لها معنى، فقد أخرج لها روايات بسنده تُأولها، وقد قال في ذلك: (والصواب من القول عندي في تأويل مفاتِح السور، التي هي حروف المعجم: أنّ الله –جلّ ثناؤه– جعلَها حروفًا مقطَّعة ولم يصِل بعضَها ببعض –فيجعلها كسائر الكلام المتّصِل الحروف– لأنه –عز ذكره– أراد بلفظِه الدلالةَ بكل حرف منه على معان كثيرة، لا على معنى واحد)[2].

بينما موقف الإمام السيوطي من ذلك مغايرٌ، –بالرغم من سرده لروايات تفسر الحروف المقطعة في أوائل السور التي ما ذَكَرَها إلا من باب الجمع والاستيعاب للمأثور في تفسيره–؛ فقد صرّح بقوله: (ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضا أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله –تعالى–)[3].

فبين مؤيد ومانع لتأويل الحروف المقطعة ترى الباحثة عدم الخوض في تفسيرها لعدم وجود نص شرعي صحيح معتمد.

---

[1] السيوطي: **الدر المنثور**، (13/612–613)، وابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ) **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، (10/3307)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – 1419هـ.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (1/180).

[3] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (4/1372).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ ؛ أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن سعيد بن جُبير[1] ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ قال: الكريم)[2]. وقد عزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس بهذا اللفظ)[3].

تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾؛ لم يرد فيه شيء من المأثور. قال الإمام الطبري فيه: (قوله:﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ما كذّبك يا محمد مشركو قومك ألّا يكونوا عالمين بأنك صادق محقّ، ولكنهم كذّبوك تعجبا من أن جاءهم منذر ينذرهم عقاب الله منهم، يعني بشرا منهم من بني آدم، ولم يأتهم مَلك برسالة من عند الله. وقوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ يقول -تعالى ذكره-: فقال المكذّبون بالله ورسوله من قريش إذ جاءهم منذر منهم ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾: أي مجيء رجل منّا من بني آدم برسالة الله إلينا، شيء عجيب، هلا أُنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا)[4].

---

[1] سعيد بن جبير (45-95هـ)، أبو عبدالله - وقيل أبو محمد - سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء؛ كوفي أحد أعلام التابعين، وكان أسود، أخذ العلم عن عبدالله بن العباس وعبدالله بن عمر، -رضي الله عنهما-. قتله الحجاج بن يوسف الثقفي، سنة خمس وتسعين، بواسط، وله تسع وأربعون سنة. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت: 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، (371/2-374).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (308/10). [ضعيف]. بينما [قواه -قال بسنده القوي-] صاحب **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، (375/4)، والراجح أنه [ضعيف]. وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، (3307/10).

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (614/13). وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، (3307/10).

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (309/10).

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾

انفرد الإمام الطبري عن الإمام السيوطي فيه برواية أخرجها بسنده: (عن الضَّحَّاك[1] في قوله:﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ قالوا: كيف يحيينا الله، وقد صرنا عظاما ورفاتا، وضللنا في الأرض، دلالة على صحة ما قلنا من أنهم أنكروا البعث إذا توعِّدوا به)[2].

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري برواية عزاها لابن المنذر: (عن ابن جريج[3] في قوله: ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ قال: أنكروا البعثَ فقالوا: مَن يستطيع أن يرجعنا ويحيينا؟)[4].

تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ قال: يعني الموت، يقول: من يموت منهم، أو قال: ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا)[5]. وعزاه السيوطي: (لعبد الرزاق وابن جرير)[6].

---

[1] الضّحّاك بن مزاحمٍ الهلاليّ: أبو القاسم، ويقال أبو محمّدٍ، الخراسانيّ، كان يكون ببلخٍ وسمرقند ونيسابور، وهو تابعيٌّ جليلٌ، وكان إمامًا في التّفسير، قال الثّوريّ: خذوا التّفسير عن أربعةٍ، مجاهدٍ وعكرمة وسعيد بن جبيرٍ والضّحّاك، وقال الإمام أحمد: هو ثقةٌ، وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال: لم يشافه أحدًا من الصّحابة، وحملت به أمّه سنتين، ووضعته وله أسنانٌ، وكان يعلّم الصّبيان حسبةً، وقيل إنّه مات سنة خمسٍ وقيل سنة ست ومائة. ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـ)، **البداية والنهاية**، (249/9)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، (1408هـ - 1988 م).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (310/10)، [ضعيف].

[3] ابن جُرَيْج (80–150هـ)؛ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكيّ. كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. روميّ الأصل، من موالي قريش. مكي المولد والوفاة. قال الذهبي: كان ثبتا، لكنه يدلس. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت:1396هـ)، **الأعلام**، (160/4)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.

[4] السيوطي، **الدر المنثور** (614/13). [لم تقف الباحثة على حكمٍ للرواية].

[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (310/10)، [صحيح].

[6] السيوطي، **الدر المنثور** (614/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق** (227/3). (والمقصود من ابن جرير؛ الإمام محمد بن جرير الطبري –الذي نحن بصدد تفسيره–).

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾

انفرد الإمام الطبري عن الإمام السيوطي برواية أخرجها بسنده: (عن قتادة ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ أي كذبوا بالقرآن)[1].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال: مُلتبس. وفي قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ قال: شقّ)[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد)[3].

المسألة الرابعة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ والرواسي الجبال ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي مِن كل زوج حسن)[4]. (وعن مجاهد، قوله: ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ قال: بصيرة)[5]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير)[6].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (311/10)، [حسن].

[2] ينظر: المصدر السابق، (312/10)، [صحيح].

[3] السيوطي، **الدر المنثور** (616/13).

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (313/10)، [حسن].

[5] ينظر: المصدر السابق، (314/10)، [صحيح].

[6] السيوطي، **الدر المنثور**، (616/13-617). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (228/3).

وأخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ تَبۡصِرَةً﴾ نِعمة من الله يبصرها العباد ﴿وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾: أي مقبل بقلبه إلى الله)[1]. وكذلك عزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير)[2].

المسألة الخامسة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري برواية أوردها عن الإمام البخاري (في الأدب المفرد): (عن ابن عباس، أنه كان إذا أمطرتِ السماءُ يقول: يا جاريةُ، أخرجي سَرجي، أخرجي ثيابي. ويقول: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ قال: هو البُرّ والشعير)[4]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير)[5].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ قال: الطِّوال)[6]. وأورد الإمام السيوطي نحوه وعزاه: (لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طُرقٍ عن ابن عباس:

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (314/10)، [حسن].

[2] السيوطي، **الدر المنثور** (616/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق** (228/3).

[3] ينظر: المصدر السابق، (617/13). [صحيح الإسناد]. والبخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، (ت:256هـ)، **الأدب المفرد**، ص421، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409هـ. والألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، ص476، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (314/10)، [صحيح].

[5] السيوطي، **الدر المنثور** (617/13-618). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (228/3).

[6] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (315/10)، [صحيح].

قال: الطول)[1].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ يقول: بعضه على بعض)[2].

وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس)[3].

تفسير قوله تعالى: ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾

لم يرد فيه شيء من المأثور. قال الإمام الطبري فيه: (قوله:﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾ يقول: أنبتنا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء هذه الجنّات، والحبّ والنخل قوتًا للعباد، بعضها غذاء، وبعضها فاكهة ومتاعًا.

وقوله ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بهذا الماء الذي أنزلناه من السماء بلدة ميتًا قد أجْدبت وقحطت، فلا زرع فيها ولا نَبْت.

وقوله ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة، فأحييناها به، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء.

---

[1] السيوطي، **الدر المنثور**، (618/13)، [ضعيف]، عند ابن جرير بلفظ: (طِوال). وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، (3307/10).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (316/10)، [صحيح].

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (619/13)، [ضعيف]. وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، (3307/10).

تعقيب: على ضوء تفسير (الآيات:1-11) الواردة في هذا المبحث ترى الباحثة أنّ:

1. معظم اختلاف أقوال مفسري السلف من قبيل اختلاف التنوع، لا اختلاف التباين والتضاد.
2. بعض الآيات لم يرد فيها تفسير بالمأثور، فقام الإمام الطبري بتأويلها بالمعنى العام.
3. هنالك آيات لم يرد فيها تفسير بالمأثور صحيح السند، بمعنى أنه لم يرد فيها إلا الروايات الضعيفة، وهذه الروايات الضعيفة غالبًا ما تضم إشارات مفيدة لكشف المراد، وبيان المعنى.
4. لم يلتزم الإمام السيوطي الإسناد في الرواية، واكتفى بعزو كل رواية إلى الكتاب الذى أخذها منه.

المبحث الثاني: التذكير بحال المكذبين الأولين

يشتمل هذا المبحث على مطلبين يتطرقان إلى دراسة المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:12-15)، المطلب الأول يتناول مناسبة الآيات لما قبلها، والمعنى العام لها، أما المطلب الثاني فيتطرّق إلى التفسير المأثور فيها، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:12-15) لما قبلها والمعنى العام لها

هذا المطلب يتناول مناسبة (الآيات:12-15) لما قبلها، والمعنى العام لها، والتي تكلمت عن العبرة من سير الأولين، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

ذكر (الآيات:12-15): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدِۢ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:12-15) لما قبلها

لما ذكر الله -سبحانه- انكار المشركين البعث والرد عليهم أردف هنا ذكر المكذبين تذكيرا لهم بحالهم ووبالهم وأنذرهم بإهلاكهم واستئصالهم، وتفسيره ظاهر وفيه تسلية للرسول -

صلى الله عليه وسلم- وتنبيه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل، كذبوا وصبروا فأهلك الله مكذبيهم ونصرهم[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:12-15)

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم الله به من الغرق العام، لجميع أهل الأرض، وأصحاب الرّسّ، وثمود، وعاد، وفرعون، وإخوان لوط؛ وهم أمته الذين بُعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب -عليه السلام-، وقوم تبع وهو اليماني. كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسوله، ومن كذب رسولًا فكأنما كذب جميع الرسل، وإنما جاءهم رسول واحد، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم، فحق عليهم ما أوعدهم الله، على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك[2].

---

[1] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، (132/28)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، (397/7)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1420هـ.

المطلب الثاني: **التفسير المأثور** (**للآيات**:12-15)

يشتمل هذا المطلب على مسألتين:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾

انفرد الإمام الطبري عن الإمام السيوطي بروايتين صحيحتين أخرجهما بسنده، وهما:

1. (عن مجاهد قوله ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ قال: بئر)[1].
2. (عن ابن عباس، أنه سأل عبد الله بن سلام[2]، عن تُبَّع ما كان؟ فقال: إن تبعا كان رجلًا من العرب، وإنه ظهر على الناس، فاختار فِتية من الأخيار فاستبطنهم واستدخلهم، حتى أخذ منهم وبايعهم، وإن قومه استكبروا ذلك وقالوا: قد ترك دينكم، وتابع الفِتية؛ فلما فشا ذلك، قال للفتية، فقال الفتيةُ: بيننا وبينهم النار تُحْرِق الكاذب، وينجو منها الصادق، ففعلوا، فعلّق الفتية مصاحفهم في أعناقهم، ثم غدوا إلى النّار، فلمّا ذهبوا أنْ يدخلوها، سفعت النار في وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تُبَّع: لتدخلنها؛ فلما دخلوها أفرجت عنهم حتى قطعوها، وأنه قال لقومه ادخلوها؛ فلما ذهبوا يدخلونها سفعت النار وجوههم، فنكصوا عنها، فقال لهم تُبَّع:

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (317/10)، [صحيح].

[2] عبدالله بن سلام: (بالتخفيف)، بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف، أسلم عند قدوم النبي –صلى الله عليه وسلم– المدينة، قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي –صلى الله عليه وسلم– عبدالله وشهد له بالجنة. وشهد مع عمر –رضي الله عنه– فتح بيت المقدس والجابية. قال الهيثم بن عدي وغير واحد مات بالمدينة سنة ثلاثا وأربعين، ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت:852هـ)، **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، 1326هـ، عدد الأجزاء: 12، (259/5).

لتدخلنها، فلما دخلوها أفرجت عنهم، حتى إذا توسّطوا أحاطت بهم، فأحرقتهم، فأسلم تُبع، وكان تُبَّع رجلًا صالحًا)[1].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ قال: ما أهلكوا به تَخويفًا لهؤلاء)[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[3].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ يقول: أفعييَ علينا حين أنشأناكم خلقًا جديدًا، فتمتروا بالبعث)[4]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[5].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، في قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي شكّ والخلق الجديد: البعث بعد الموت، فصار الناس بين رَجُلين؛ مُصدق ومكذّب)[6]. وأورد الإمام السيوطي ما أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم: (عن ابن عباس في قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾. يقول: في شكٍّ من البعث)[7].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (317/10-318)، [صحيح]. بينما لم يورد صاحب **الصحيح المسبور** هذه الرواية في كتابه بالرغم من اتصال السند، ولعله تركها لأنها من طريق عبد الله بن سلام –رضي الله عنه– الذي أُثِرَ عنه ذكر الإسرائيليات.

[2] ينظر: المصدر السابق، (319/10)، [صحيح].

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (619/13).

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (320/10)، [صحيح].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (619/13).

[6] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (320/10)، [حسن].

[7] السيوطي، **الدر المنثور**، (619/13)، [ضعيف]. وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، (3308/10).

تعقيب: على ضور تفسير (الآيات:12-15) بالمأثور ترى الباحثة أن:

1. اعتماد الإمام الطبري كثيرا على أقوال التابعين -كمجاهد وقتادة-، والتزامه بالإسناد في الرواية، وعنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.
2. انفراد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري ببعض الروايات، لكنها في الغالب جاءت ضعيفة الإسناد؛ وذلك لعنايته في جمع الروايات دون التزامه بدرجة صحتها.
3. هناك اختلاف في حكم المحققين على بعض الروايات، فمنهم من يحسّن السند ومنهم من يضعّفه، وهذا يدل على أن تطبيق علم الجرح والتعديل على أرض الواقع علمٌ اجتهادي.

المبحث الثالث: تقرير خلق الإنسان والعلم بأحواله

يتكوّن هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:16–22) لما قبلها، والمعنى العام لها.

المطلب الثاني: التفسير المأثور فيها.

المطلب الأول: مناسبة (الآيات: 16-22) لما قبلها، والمعنى العام لها

يتناول هذا المطلب مناسبة (الآيات:16–22) –التي موضوعها تقرير خلق الإنسان وعلم الله بأحواله– لما سبقها من آيات السورة، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:16–22) لما قبلها.

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:16-22) لما قبلها

لمّا ذكرَ الله خَلْقَ الخافقين، أتبعه خلْقَ الانسان، وهو أعجب خلقًا وأجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الأُنس والطُّغيان، والذّكر والنّسيان، والجهل والعرفان، والطّاعة والعصيان، وغير ذلك من عجيب الشأن، ووكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع أحواله[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:16-22)

يقول الله- جل جلاله-: ولقد خلقنا الإنسان وأبدعنا صورته، وأكملنا خلقته، ونحن نعلم السر وأخفى، ونعلم ما توسوس به نفسه، وما يستكن في ضميره، إنه عليم بذات الصدور فالله يعلم ما يخفيه الإنسان ويكنه في نفسه من الخواطر، ومع كمال العلم بالإنسان، وتمام الإحاطة بأحواله، ونفاذ قدرته عليه، وكّل به ملكين يكتبان ويحصيان عليه عمله، إلزاما للحجة، وقطعا للمعذرة. فالله أقرب إليه من حبل الوريد حين يتلقى المتلقيان اللذان يأخذان عنه ويحصيان عليه، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، ما يلفظ الإنسان من قول، ولا يعمل من عمل إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان، فكل منهما رقيب، أي: حافظ للأعمال متتبع لأمور الإنسان، يحصيها ويسجلها، وكل منهما عتيد، أي: حاضر مهيأ معد لذلك.

وكل إنسان يلاقيه الموت وشدته وتغمره غمرته التي تغلب عقله، وتلهيه عمن حوله، ويشغله عن ماله وولده، وعند ذلك يظهر له الحق، ويتضح له الأمر، ويدرك مكانه، ويرى عمله

---

[1] البقاعي، **نظم الدّرر** (419/18)، بتصرف.

وأن ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث والثواب والعقاب حق لا شك فيه ولا مراء، تلك مواقف شديدة على غير المؤمنين، أما المؤمنون فعند سكرات الموت يبشون ويفرحون لما يرون من مقدمات الخير الذي ينتظرهم.

ذلك هو الموت وما فيه، الذي كنت أيها الكافر منه تحيد وعنه تمي، ونفخ في الصور النفخة الثانية ليقوم الناس لرب العالمين، ذلك الوقت الذي أوعد الله به الكفار والعصاة، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، أي: سائق يسوقها إلى نتيجة عملها، وشاهد يشهد لها بعملها ويقال له: تالله لقد كنت أيها الإنسان في غفلة من هذا الذي نزل بك فكشفنا عنك غطاءك، وأزلنا عنك غفلتك التي كانت عندك في الدنيا، بانهماكك في المحسوسات، واشتغالك بالماديات، وقصر نظرك عليها، فبصرك اليوم حاد وقوى تدرك به ما غفلت عنه أو أنكرته في الدنيا[1].

المطلب الثاني: **التفسير المأثور** (**للآيات**:16-22)

يتكوّن هذا المطلب من مسألتين تبحثان التفسير المأثور (للآيات16–22):

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

[1] الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح**، (3/522–523)، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – 1413هـ.

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد في قوله ﴿حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ قال: الذي يكون في الحلق)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[2].

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري برواية عزاها لابن المنذر: (عن ابن عباس في قوله: ﴿مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾. قال: نِياطُ القلبِ وما حمَل)[3].

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ قال: عن اليمين الذي يكتب الحسنات، وعن الشمال الذي يكتب السّيّئات)[4]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[5].

وأخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله:﴿قَعِيدٞ﴾ قال: رَصَد)[6].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن ابن زيد[7] في قوله: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ قال: جعل معه من يكتب كلّ ما لفظ به، وهو معه رقيب)[8].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (321/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (620/13).

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (620/13). لم تقف الباحثة على حكمٍ للرواية.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (322/10)، [صحيح].

[5] السيوطي، **الدر المنثور** (621/13).

[6] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (321/10)، [صحيح].

[7] ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي، العدوي، المدني، مولى عمر بن الخطاب، أخو عبد الله بن زيد بن أسلم، قال البخاري، وأبو حاتم: ضعفه علي بن المديني جدا، مات سنة ثنتين وثمانين ومئة. ينظر: المزي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، (114/17-119)، (-لكن من تحقيقين مثل إسلام منصور من يرى: إذا كان ما يُنقل عن ابن زيد من قوله؛ لا يضر-).

[8] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (324/10)، [صحيح].

تنبيه:

أورد الإمام السيوطي ثلاث روايات موضوعة ضمن تفسيره لهاتين الآيتين وهن:

1. (أخرج أبو نعيم، والديلمي، عن معاذ بن جبل مرفوعًا: "إن اللهَ لطَّفَ الملكين الحافظين حتى أجلسهما على الناجِذين[1]، وجعل لسانه قلمَهما، وريقه مِدادهما")[2].
2. (أخرج الطّبراني، وابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كُتبت بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين: أمسك. فيمسك ستَّ ساعاتٍ أو سبعَ ساعات، فإن استغفرَ اللهَ منها لم يَكتب عليه شيئًا، وإن لم يستغفرِ اللهَ كُتبت عليه سيئةً واحدةً)[3].
3. (أخرج أبو الشيخ في (العظمة)، والبيهقي في (شعب الإيمان)، عن أنسٍ، –رضي الله عنه– أن النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم– قال : "إن الله وكّل بعبده المؤمن ملَكين يكتبان عمله، فإذا مات قال الملكان اللذان وُكِّلا به: قد مات فأْذَنْ لنا أنْ نصعد إلى السماء. فيقول الله: سمائي مملوءةٌ من ملائكتي يسبحوني. فيقولان: أفتقيمُ في الأرض؟ فيقول الله:

---

[1] (نجذ: النَّواجذ: أَقصى الأَضراس، وَهِيَ أَربعة فِي أَقصى الأَسنان)، ابن منظور، **لسان العرب**، (513/3).

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (620/13)، [موضوع]. وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، **تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان**، (425/1)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ– 1990م. والألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري، (ت: 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، (حديث: 2641) (147/6)، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ – 1992م.

[3] السيوطي، **الدر المنثور** (625/13)، [موضوع]. والطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير**، (حديث: 7787)، (191/8)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية. والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت:458)، **شعب الإيمان**، (حديث:5182)، (301/4)، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ.

أرضي مملوءةٌ من خلقي يسبحوني فيقولان: فأين؟ فيقول: قُوما على قبر عبدي فسبِّحاني واحمداني وكبّراني، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة")[1].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى:﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري برواية صحيحة -واللفظ للبخاري-: (أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانت بين يديه ركوةٌ أو عُلبةٌ فيها ماءٌ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكراتٍ)[2].

---

[1] السيوطي، **الدر المنثور**، (630/13-631)، [موضوع].أبو الشيخ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر (ت:369هـ)، **العظمة**، (حديث: 503)، (979/3)، تحقيق: رضاء الله بن محمد، دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1408هـ. والبيهقي، **شُعب الإيمان** (حديث: 9931)، (183/7). وابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:597هـ)، **الموضوعات** (229/3)، [قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح]، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1386هـ.

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (630/13-631)، [صحيح]. والبخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (ت:256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، (حديث: 4449)، (13/6)، (حديث: 6510)، (107/8)، كتاب: المغازي، باب: مرض النبي -صلى الله عليه وسلم- [الحديث بهذا اللفظ]، (13/6)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ. أما عند ابن أبي شيبة وابن ماجة، والترمذي، والنسائي بلفظ آخر وسنده ضعيف: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَمُوتُ، وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ»)، ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت:235هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، (حديث: 29333)، (42/6)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ. وابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، حديث: 1623 (519/1)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي. والترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت:279هـ)، **الجامع الكبير= سنن الترمذي**، حديث: 978 (299/3)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ. والنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت:303هـ)، **السنن الكبرى**، (حديث: 10866)، (401/9)، (حديث: 7064)، (389/6)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ.

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت)[1].

انفرد الإمام الطبري عن الإمام السيوطي بما أخرجه بسنده: (عن مجاهد ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال: للكافر يوم القيامة)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال: عاين الآخرة)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[4].

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري برواية قال فيها: (أخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله:﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ﴾ قال: كلسان الميزان، ﴿حَدِيدٌ﴾ قال: حديدُ النظرِ شديدٌ)[5].

علّق الإمام الطبري على هذه الرواية بقوله: (وقد رُوي عن الضحاك أنه قال: معنى ذلك ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: كلسان الميزان. وأحسبه أراد بذلك أن معرفته وعلمه بما أُسلف في الدنيا شاهد عدل عليه، فشبَّه بصره بذلك بلسان الميزان الذي يُعدل به الحقّ في الوزن، ويُعرف مبلغه

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (326/10)، [صحيح].

[2] ينظر: المصدر السابق، (328/10)، [صحيح].

[3] ينظر: المصدر السابق، (329/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور** (636/13). بلفظ: (عاين الآخرة فنظر إلى ما وعده الله فوجده كذلك).

[5] ينظر: المصدر السابق، (636/13). لم تقف الباحثة على حكمٍ لهذه الرواية.

الواجب لأهله عمّا زاد على ذلك أو نقص، فكذلك علم من وافي القيامة بما اكتسب في الدنيا شاهد عدلٍ عليه كلسان الميزان)[1].

تعقيب: على ضوء تفسير الإمامين –الطبري والسيوطي– للآيات:16–22 يلاحظ ما يأتي:

1. بالرغم من طول باع الإمام السيوطي في علوم الحديث؛ إلا أنه أورد الأحاديث الموضوعة في تفسيره، وخاصةً عندما يطنب في سرد الروايات –كالروايات التي تتحدث عن الملائكة، والتي أوردها كذلك في كتابه (الحبائك في أخبار الملائك)–، فهنا وهناك يجمع بين ما صح وما لا يصح من خبر –فبذلك أصبح كحاطب ليل–، وهذا الأمر مأخذٌ قوي يُفقد تفسيره رتبة كبيرة بين كتب التفاسير الأصيلة، رغم ما حوى من كم المرويات المأثورة.
2. عزو الإمام السيوطي بعض الروايات إلى عدة مصادر بصيغة واحدة دون مراعاة اختلاف ألفاظها.
3. رجوع الإمام الطبري للغة في ترجيحه لبعض الأقوال، بينما يكتفي الإمام السيوطي بإيراد الروايات دون أدني تعليق أو ترجيح لها.

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (329/10).

المبحث الرابع: الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان يوم القيامة

يتكوّن هذا المبحث من مطلبين يبحثان في الحوار بين الكافر وقرينه الشيطان يوم القيامة (الآيات:23–30)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:23–30) لما قبلها، والمعنى العام لها.

المطلب الثاني: التفسير المأثور فيها.

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:23-30) لما قبلها، والمعنى العام لها

يتناول هذا المطلب مناسبة (الآيات:23–30) لما سبقها من (الآيات:16–22) والتي تحدثت عن تقرير خلق الإنسان وعلم الله بأحواله، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:23–30) لما قبلها.

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:23-30) لما قبلها

بعد بيان أحوال الناس يوم القيامة وعند الموت، ذكر اللَّه تعالى صورة حوار بين الكافر وقرينه الشيطان، في يوم القيامة، لمعرفة مدى جناية الإنسان على نفسه، وزجّها في نيران جهنم، وإصغائه لوساوس الشيطان وإغراءاته، وتأثره بها بسبب خلل رأيه، وضعف عقله، وميله إلى الفجور[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:23-30)

يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم: أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: {هذا ما لدي عتيد} أي: معتد، محضر، بلا زيادة ولا نقصان. وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به، قد أحضرته. وقد اختار ابن جرير أن يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة.

فعند ذلك يحكم الله، سبحانه تعالى، في الخليقة بالعدل فيقول: {ألقيا في جهنم كل كفار عنيد} والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرضة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير.

{ألقيا في جهنم كل كفار عنيد} أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق، {عنيد} : معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك. {مناع للخير} أي: لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة، {معتد} أي: فيما ينفقه ويصرفه، يتجاوز فيه الحد. {مريب} أي: شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره. {الذي جعل مع الله إلها آخر} أي: أشرك بالله فعبد معه غيره، {فألقياه في العذاب الشديد}. {قال قرينه} : قال الشيطان الذي وكل به: {ربنا ما أطغيته} أي:

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (301/26).

يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرا، يتبرأ منه شيطانه، فيقول: {ربنا ما أطغيته} أي: ما أضللته، {ولكن كان في ضلال بعيد} أي: بل كان هو في نفسه ضالًا قابلًا للباطل معاندًا للحق.

وقوله: {قال لا تختصموا لدي} يقول الرب –عز وجل– للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق فيقول الإنسي: يا رب، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني. ويقول الشيطان: {ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد} أي: عن منهج الحق. فيقول الرب –عز وجل– لهما: {لا تختصموا لدي} أي: عندي، {وقد قدمت إليكم بالوعيد} أي: قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين.

{ما يبدل القول لدي} قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض، {وما أنا بظلام للعبيد} أي: لست أعذب أحدا بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه[1].

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:23-30)

يشتمل هذا المطلب على ثلاث مسائل جاءت على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ المَلك)[2]، (وعن ابن زيد، في قوله: ﴿ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ قال: والعتيد: الذي قد أخذه، وجاء به السائق والحافظ معه جميعًا)[3].

---

[1] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (7/402-403).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (10/329)، [حسن].

[3] ينظر: المصدر السابق، (10/329)، [صحيح].

أورد الإمام السيوطي رواية عزاها لابن المنذر: (عن ابن جريج في قوله: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال: مَلكُه، ﴿ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ قال: الذي عندي عتيد للإنسان، حفظتُه حتى جئتُ به. وفي قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾. قال: هذا شيطانُه)[1].

تنبيه:

لورود كلمة (قرينه) في (الآيتين:22-27) حدث خطأٌ وزللٌ عند الإمام السيوطي في نقل تفسير قوله: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾، وذلك فيما عزاه للإمام الطبري. فقد قال الإمام السيوطي: (أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال: شيطانه)[2]. وهذا غير صحيح، وإنما هذا التفسير (للآية:27) عند الإمام الطبري بدون حرف العطف (الواو)، فقد أخرجها الإمام الطبري هكذا: (عن ابن عباس قوله:﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ قال: قرينُه شيطانه)[3].

فالصحيح الذي جاء عند الإمام الطبري في تفسير: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ (الآية:22) أنه المَلَك، وفي تفسير: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ (الآية:27) أي شيطانه. وقد يكون سبب خطأ الإمام السيوطي في النقل ناجمًا عن اختصار الإمام –السيوطي– في توثيق وكتابة الآيات بشكل تام.

---

[1] السيوطي، **الدر المنثور**، (636/13). (أشار المحقق عبد الله التركي أن الأثر عند ابن جرير، لكنه لم يعلّق على هذا الخطأ).

[2] ينظر: المصدر السابق، (636/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (332/10)، [ضعيف].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ قال: الزكاة المفروضة، ﴿مُعۡتَدٖ﴾ معتدٍ في منطقه وسيرته وأمره، ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن المنذر)، وزاد في أول الأثر: (عن قتادة في قوله: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾ قال: كفّار بنعم الله، عنيدٌ عن طاعة الله وحقه)[2].

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾

لم يرد فيه شيء مأثور. قال فيه الإمام الطبري: (الذي أشرك بالله فعبد معه معبودًا آخر مِن خلقه، ﴿فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ ، يقول: فألقياه في عذاب جهنم الشّديد)[3].

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (331/10-332)، [حسن].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (637/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (332/10).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾، قال: الشيطان قُيِّضَ له)[1]، (وعن قتادة ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾، قال: قرينه: الشيطان)[2]. أما ما جاء عند الإمام السيوطي في ذلك؛ ما عزاه: (لابن المنذر عن ابن جريج: في قوله: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾، قال: هذا شيطانه)[3].

أخرج الإمام الطبري بسندٍ ضعيفٍ: (عن ابن عباس، في قوله:﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ قال: إنهم اعتذروا بغير عُذر، فأبطل الله حُجّتهم، وردَّ عليهم قولهم)[4]. وأورد الإمام السيوطي ما أخرجه: (ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله:﴿قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ قال: عندي، ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ قال: على ألسُن الرسل: إنه مَن عصاني عَذّبتُه)[5].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله:﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ قد قضيتُ ما أنا قاضٍ)[6]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[7].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (332/10) [صحيح].

[2] المصدر السابق، (332/10) [صحيح].

[3] السيوطي، **الدر المنثور** (636/13)، [لم تقف الباحثة على سند، وحكم الرواية].

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (333/10)، [ضعيف، لكن صاحب **الصحيح المسبور** حسّنه، (381/4)].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (637/13).

[6] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (334/10)، [صحيح].

[7] السيوطي، **الدر المنثور**، (638/13).

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري بما عزاه: (لابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله:﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ قال: ما أنا بمعذّب مَن لم يجترم)[1].

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾

اختلف أهل التأويل في قوله:﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾ على قولين، القول الأول: ما من مزيد، والقول الثاني: بمعنى زدني.

ذكر ما صح من مأثور في **القول الأول**: أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾ قال: وعدها الله ليملأنّها، فقال: هلّا أوفيتُكِ؟ قالت: وهل من مسلك)[2].

ذكر مما صح من مأثور في **القول الثاني**: أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، عن أنس، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال: " احتجّتْ الجنّة والنّار، فقالت النار: يدخلني الجبارون والمتكبرون؛ وقالت الجنة: يدخلني الفقراء والمساكين؛ فأوحى الله إلى الجنة: أنتِ رحمتي أصيب بك من أشاء؛ وأوحَى إلى النار: أنتِ عذابي أنتقمُ بك ممن شئتُ، ولكل واحدة منكما ملؤُها؛ فأما النار فتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها، فتقول: قَطْ قَطْ")[3].

---

[1] السيوطي، **الدر المنثور**، (638/13–639). (أخرج الإمام الطبري رواية عن ابن حميد بمعناها، لكن سندها ضعيف، (334/10)).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (335/10) [صحيح].

[3] ينظر: المصدر السابق، (337/10)، [صحيح].

وأخرج الإمام الطبري بسنده: (عن أبي هريرة، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إذا كان يوم القيامة، لم يظلم الله أحدًا من خلقه شيئا، ويُلقي في النار، تقول هل من مزيد، حتى يضع عليها قدمه، فهنالك يملؤها، ويزوى بعضها إلى بعض وتقول: قط قط")[1].

وأورد الإمام السيوطي ما أخرجه: (الإمام البخاري، وابن مردويه، عن أبي هريرة رفعه: "يقال لجهنم: هل امتلأتِ؟ وتقول هل من مزيد؟ فيضع الرب قدمه عليها، فتقول: قط قط ")[2].

ورجّح الإمام الطبري القول الثاني –بمعنى الاستزادة– لصحة الخبر، ورجوعه للغة العربية.

تعقيب: على ضوء تفسير (الآيات:23–30) بالمأثور يلاحظ ما يأتي:

1. ترجيح الإمام الطبري بين الروايات وإن كانت صحيحة، فهو لا يعتمد على سرد الروايات فقط؛ إنما يسردها وينقدها، ويرجح بينها بقرائن كصحة الخبر، والرجوع للغة في ذلك.
2. كثرة الروايات المأثورة في هذه الآيات، وخاصة عند الإمام السيوطي.
3. نقل الإمام السيوطي كثيرًا من المأثور عن ابن جرير (الطبري).

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (335/10) [صحيح]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: "وتقول هل من مزيد" (4848) (138/6)، ومسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت:261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–**، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (حديث: 2848)، (2187/4)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. وغيرهما بلفظ قريب.

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (638/13)، [صحيح]. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: "وتقول هل من مزيد" (حديث: 4849)، (138/6).

المبحث الخامس: حال المتقين وجزاؤهم وأوصافهم

يشتمل هذا المبحث على مطلبين يتطرقان إلى دراسة المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:31-35)، المطلب الأول يتناول مناسبة الآيات لما قبلها، والمعنى العام لها، أما المطلب الثاني فيتطرّق إلى التفسير المأثور فيها، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:31-35) لما قبلها والمعنى العام لها

هذا المطلب يتناول مناسبة (الآيات:31-35) لما قبلها، والمعنى العام لها، والتي تحدثت عن حال المتقين وجزائهم وأوصافهم، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾.

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:31-35) لما قبلها

(لما ذكر النار وقدمها لأن المقام للإنذار، أتبعها دار الأبرار، فقال سارًا لهم بإسقاط مؤنة السير وطيّ شقة البعد: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ﴾ أي قربت بأيسر أمر مع الدرجات والحياض الممتلئة

﴿ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ أي العريقين في هذا الوصف، فإذا رأوها تسابقوا إليها وتركوا ما كانوا فيه من الموقف من منابر النور وكثبان المسك ونحو هذا)[1].

وبعبارة أخرى جاءت مناسبة هذه الآيات البينات لما قبلها عند صاحب التفسير المنير:

(بعد بيان الحوار الذي يحصل يوم القيامة بين الكافر وقرينه من الشياطين، بيّن اللَّه تعالى حال المتقين، جريا على عادة القرآن بالمقارنة بين الأضداد، وإيراد الشيء بعد نقيضه، فيحذر الإنسان ويخاف، ويطمع ويتأمل ويرجو رحمة اللَّه تعالى، وبه تم الجمع بين الترهيب والترغيب وبين الخوف والرجاء أو الطمع)[2].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:31-35)

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ أي وأدنيت الجنة للذين اتقوا ربهم، واجتنبوا معاصيه، بحيث تكون بمرأى العين منهم، إكراما لهم، واطمئنانًا لنفوسهم، فيرون ما أُعدّ لهم من نعيم وحبور، ولذة وسرور، لا نفاد له ولا فناء.﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي وتقول لهم الملائكة: هذا هو النعيم الذي وعدكم به ربكم على ألسنة رسله، وجاءت به كتبه. ثم بين المستحق لهذا النعيم فقال:

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾ أي هذا الثواب للمتقين الذين يرجعون من معصية الله إلى طاعته تائبين من ذنوبهم ويلقون الله بقلوب منيبة إليه، خاضعة له. ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ﴾ أي وتقول لهم الملائكة تكرمة لهم: ادخلوا الجنة سالمين من

---

[1] البقاعي، **نظم الدّرر**، (432/18-431).

[2] الزحيلي، **التفسير المنير**، (307/26).

العذاب والهموم والأكدار، فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ثم يبشّرون ويقال لهم: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ أي فاطمئنوا وقرّوا عينا، فهذا يوم الخلود الذي لا موت بعده، ولا ظعن ولا رحيل.

ثم زاد في البشرى فقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ أي لهم إجابة لسؤالهم كل ما يشتهون، ثم نزيدهم فوق ما سألوا مما لم تره أعينهم ولم يُدرَ بخلدِهم)[1].

المطلب الثاني: **التفسير المأثور** (**للآيات**:31-35)

يتكون هذا المطلب من مسألتين تبحثان في التفسير المأثور (للآيات:31-35) عند الإمامين –الطبري والسيوطي–، وذلك على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله:﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ يقول: وأُدنيت، غير بعيد)[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي مطيع لله كثير الصلاة)[4].

---

[1] المراغي، **تفسير المراغي**، (166/26-167).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (337/10) [حسن].

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (643/13)، بلفظ: "قال: أُدنيت الجنة".

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (338/10) [حسن].

تفسير قوله: ﴿حَفِيظٖ﴾ ، اختلف أهل التأويل فيه على قولين، القول الأول: بمعنى؛ حفظ ذنوبه حتى تاب منها. والقول الثاني: معناه: أنه حفيظ على فرائض الله وما ائتمنه عليه. وروايات القول الثاني أصح، وهذا ما رجّحه الإمام الطبري؛ لأن الله وصف هذا التائب الأواب بأنه حفيظ، ولم يُحصر به على حفظ نوع من أنواع الطاعات دون نوع، هاك ما حسُنَ سنده من مأثور في القول الثاني:

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿حَفِيظٖ﴾ قال: حفيظ لما استودعه الله من حقّه ونعمته)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[2].

تفسير قوله: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري بما أورده عن ابن المنذر: (عن ابن جريج في قوله: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قال: يُخشى ولا يُرى)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾: أي منيب إلى ربّه مُقبِل)[4]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[5].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (338/10-339)، [حسن].

[2] ينظر: المصدر السابق، (644/13).

[3] ينظر: المصدر السابق، (644/13)، لم تقف الباحثة على حكمٍ للرواية.

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (339/10)، [حسن].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (644/13).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ﴾ قال: سَلِموا مِن عَذاب الله، وسلّم عليهم)[1]. (وعن قتادة ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ خُلِّدوا والله، فلا يموتون، وأقاموا فلا يظعنون، ونعموا فلا يبأسون)[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[3].

أما ما جاء عند الإمامين –الطبري والسيوطي– في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾، فقد قال الإمام الطبري: (يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جلّ ثناؤه صفتها –مزيدٌ يزيدهم إيّاه. وقيل: إنّ ذلك المزيد النظر إلى وجه الله جلّ جلاله)[4]، ثم ذكر من قال ذلك، لكنها جميعها جاء ضعيفة السند، وكذا ما جاء عند الإمام السيوطي ليس فيه الصحيح ولا الحسن.

تعقيب: إن ذِكر الإمام الطبري للرأي الآخر في تأويل قوله: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾، خاصةً وفي غيره عامةً –وإن كان مخالفًا لرأيه–؛ يدل على منهجية الإمام المنصفة لوجهة رأي غيره، فهو يذكرها بالإسناد، حتى أنه ذكر ست روايات في ذلك، ولم يذكر هنا ما يؤيد رأيه من مأثور مقارنةً لتأويله الآية:26 من سورة يونس، وترك العُهدة على فطنة القارئ، فلسان حاله يقول: "رأيي صواب ويحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ ويحتمل الصواب".

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (339/10)، [حسن].

[2] ينظر: المصدر السابق، (339/10)، [حسن].

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (644/13).

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (339/10).

المبحث السادس: تهديد منكري البعث واثباته لهم مرة أخرى وأوامر للرسول -صلى الله عليه وسلم-

يتكون هذا المبحث من مطلبين يتطرقان إلى دراسة المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:36-45)، المطلب الأول يتناول مناسبة الآيات لما قبلها، والمعنى العام لها، أما المطلب الثاني فيتناول التفسير المأثور فيها، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:36-45) لما قبلها والمعنى العام لها

هذا المطلب يتناول مناسبة (الآيات:36-45) لما قبلها، والمعنى العام لها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات: 36-45) لما قبلها

بعد أن أنذر اللَّه تعالى منكري البعث بالعذاب الأليم في الآخرة، عاد إلى التهديد والإنذار بعذاب الدنيا المهلك والدمار الشامل، وتوسط الإنذارين بيان حال المتقين في الجنان للجمع بين الترهيب والترغيب كما تقدم، ثم أبان تعالى أن الإهلاك عظة وتذكير وعبرة لكل ذي عقل واع، مفكر بالربط بين الأسباب والنتائج.

ثم أعاد اللَّه تعالى دليل إمكان البعث من خلق السموات والأرض مرة أخرى مع تنزيه نفسه عن العناء والتعب في الخلق، ثم أمر تعالى رسوله صلّى اللَّه عليه وسلّم بالصبر على ما يقولون من إنكار البعث ومن حديث التعب بالاستلقاء، وبتنزيه اللَّه عن كل نقص منتظرا المنادي، ولا تكن من الغافلين حتى لا تصعق يوم الصيحة، فقد اقترب يوم البعث، وسمع صوت الداعي إليه، فالله هو المحيي والمميت وإليه المصير، يوم تتشقق الأرض سراعا ويخرج الناس من القبور، ثم أخبر سبحانه رسوله صلّى اللَّه عليه وسلّم بعلمه بما يقول المشركون في البعث، فلست عليهم بجبار مصيطر، وتابع مهمتك في الإنذار وتبليغ الدعوة بالتوحيد، وذكّر بهذا القرآن من يخاف عقابي ويخشى وعيدي[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:36-45)

يقول تعالى: وكم أهلكنا قبل هؤلاء المنكرين من قرن كانوا أكثر منهم وأشد قوة، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها؛ هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير**، (313/26).

جمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لمّا كذبوا الرسل؟ فأنتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص. إن في ذلك لعبرة لمن كان له لب يعي به.

ثم قرر الله المعاد فقال: "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب"؛ لأن من قدر على خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن، قادر على أن يحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى. {وما مسنا من لغوب} أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب، فاصبر على ما يقوله المكذبون، واقم الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل فصلِّ له، {وأدبار السجود} هو التسبيح بعد الصلاة.

واستمع يا محمد –صلى الله عليه وسلم– يوم ينادي المناد من مكان قريب، يوم يسمعون النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون، ذلك يوم الخروج من الأجداث. فالله هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كُلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. يوم يُنزِّل الله مطرًا من السماء تنبت به أجساد الخلائق في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فيقومون إلى موقف الحساب سراعًا، مبادرين إلى أمر الله –عز وجل– مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر، وتلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا، نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهيدنك ذلك، ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك ما كلفت به، فبلّغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده[1].

[1] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (7/408-417).

المطلب الثاني: **التفسير المأثور** (**للآيات**:36-45)

يشتمل هذا المطلب على ثلاث مسائل وقد جاءت على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله:﴿ فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ قال ضربوا في البلاد)[1].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ حتى بلغ ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ قد حايص الفجرة، فوجدوا أمر الله منيعًا)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾ قال: حاص أعداء الله، فوجدوا أمر الله لهم مُدركًا)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[4].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (343/10)، [صحيح].

[2] ينظر: المصدر السابق، (343/10)، [حسن].

[3] ينظر: المصدر السابق، (343/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (652/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (232/3). بلفظ: " خَاضَ أَعْدَاءُ اللَّهِ , فَوَجَدُوا أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ مُدْرِكًا".

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ أي: من هذه الأمّة، يعني بذلك القلب: القلب الحي)[1]. (وعن قتادة ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ قال: مَن كان له قلب من هذه الأمّة)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله:﴿ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال: وهو لا يحدث نفسه، شاهد القلب)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (للفريابي، وابن جرير)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني بذلك القلب: أهل الكتاب، وهو شهيد على ما يَقرأ في كتاب الله من بَعث محمد –صلى الله عليه وسلم–)[5]. (وعن قتادة ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ قال: هو رجلٌ مِن أهل الكتاب استمع إلى القرآن، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ على ما في يده من كتاب الله أنه يجد النبيّ –صلى الله عليه وسلم– مكتوبًا)[6]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير)[7].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (344/10)، [حسن].

[2] ينظر: المصدر السابق، (344/10)، [صحيح].

[3] ينظر: المصدر السابق، (344/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (652/13).

[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (345/10)، [حسن].

[6] ينظر: المصدر السابق، (345/10)، [صحيح].

[7] السيوطي، **الدر المنثور**، (654/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (232/3).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ قال: نصب)[1].

وأخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ قالت اليهود: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، وقال: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾)[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ لصلاةِ الفجر، ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه:130): العصر)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله: ﴿وَأَدْبَرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: كان مجاهد يقول: ركعتان بعد المغرب)[5]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير)[6].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (346/10)، [صحيح].

[2] ينظر: المصدر السابق، (346/10)، [صحيح]. بالرغم من صحة السند إلا أن صاحب **الصحيح المسبور** لم يورد هذه الرواية فيه، وقد يكون السبب؛ هو أن السورة مكية، وقول اليهود –إن صح خبر قولهم هذا– يكون متأخرًا في المدينة؛ لذلك هو استبعدها.

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (654/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (233/3).

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (347/10)، [حسن].

[5] ينظر: المصدر السابق، (349/10)، [صحيح].

[6] السيوطي، **الدر المنثور**، (658/13).

أورد الإمام السيوطي ما أخرجه: (البخاري، وابن نصر، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، من طريق مجاهد قال: قال ابن عباس: أدبار السجود التسبيح بعد الصلاة. ولفظ البخاريِّ: أمره أن يسبحَ في أدبار الصلوات كلها)[1].

المسألة الثالثة: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ۝٤٤ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾ قال: هي الصيحة)[2]. وأورده الإمام السيوطي عازيًا إياه (لابن جرير فقط)[3].

وأخرج الإمام الطبري بسنده: (عن بُريدة، قال مَلك قائم على صخرة بيت المقدس، واضعٌ أصبعيه في أُذنيه ينادي، قال: قلت: بماذا يُنادي؟ قال: يقول يا أيها الناس هَلمّوا إلى الحساب؛ قال: فيقبلون كما قال الله ﴿ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴾ (القمر:7))[4].

---

[1] السيوطي، **الدر المنثور**، (658/13)، [صحيح]. والبخاري، **صحيح البخاري**، (حديث: 4852)، (139/6)، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله:﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾. وابن نصر، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت: 294هـ)، **مختصر قيام الليل**، ص78، حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان الطبعة: الأولى، 1408هـ. بلفظ: «هُوَ التَّسْبِيحُ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا».

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (352/10)، [ضعيف]. فيه عائلة العوفي الضعفاء.

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (659/13).

[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (352/10)، [ضعيف]

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ قال: بلغني أنه يُنادى من الصخرة التي في بيت المقدس)[1].

تفسير قوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ٤٤﴾

لم يرد فيه شيء مأثور عند الطبري، بينما أورد الإمام السيوطي ما أخرجه: (ابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾ قال تمطر السماء عليهم حتى تشقق الأرض عنهم)[2].

تفسير قوله: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ قال: لا تتجبر عليهم)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[4].

تعقيب: على ضوء تفسير (الآيات:36-45) بالمأثور يلاحظ:

1. عدم الوقوف على أحاديث وآثار موضوعة عند الإمام السيوطي خلال تفسير لهذه الآيات.
2. كثرة نقل الإمام السيوطي تخريج الإمام الطبري للروايات المأثورة في تأويل هذه الآيات.

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (351/10-352)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (660/13). لم تقف الباحثة على حكمٍ للرواية.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (352/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (661/13).

3. كثرة الروايات والآثار الضعيفة الواردة عند الإمامين –الطبري والسيوطي– في تأويل هذه الآيات مقارنة بما سبق من آيات السورة الكريمة.
4. وأخيرًا يلاحظ عدم تطرّق الإمامين للقراءات البتة، وذلك في كل آيات السورة، وخاصة الإمام الطبري الذي يخص القراءات دورها في تأويل الآيات، بل أنه كان من عادته توجيهها والترجيح بينها.

وبهذا تمّ ختام تفسير سورة (ق) بأجود ما جاء عند الإمامين –الطبري والسيوطي– من تفسيرٍ مأثورٍ، وعقب خَتمِ تفسير سورة (ق) يُستَشرفُ بدءُ تفسير سورة الذاريات، وذلك في الفصل الآتي؛ الفصل الثالث.

الفصل الثالث:

التفسير المأثور لسورة "الذاريات"

وفيه ستة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: القسم على وقوع البعث.
- ❖ المبحث الثاني: جزاء المتقين وأوصافهم.
- ❖ المبحث الثالث: قصة ضيف إبراهيم -عليه السلام- ومهمتهم في إهلاك قوم لوط -عليه السلام-.
- ❖ المبحث الرابع: قصص أنبياء آخرين مع أقوامهم.
- ❖ المبحث الخامس: إثبات وحدانية الله وعظيم قدرته.
- ❖ المبحث السادس: تهديد المشركين بالعذاب لتكذيب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المبحث الأول: القسم على وقوع البعث

يتكون هذا المبحث من مطلبين يتطرقان إلى دراسة المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:1-14)، المطلب الأول يتناول مناسبة الآيات لما قبلها، والمعنى العام لها، أما المطلب الثاني فيتناول التفسير المأثور فيها، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:1-14) لما قبلها والمعنى العام لها

هذا المطلب يتناول مناسبة (الآيات:1-14) لما قبلها –أواخر سورة "ق"–، والمعنى العام لها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ۝١٤ ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:1-14) لما قبلها والمعنى العام لها

(أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها، وذلك لأنه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال: ذلك حشر علينا يسير [ق:44] وقال: وما أنت عليهم بجبار [ق:45] أي تجبرهم وتلجئهم إلى الإيمان إشارة إلى إصرارهم على الكفر بعد إقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق إلا اليمين فقال: والذاريات ذروا ... إنما توعدون لصادق وأول هذه السورة وآخرها متناسبان

حيث قال في أولها إنما توعدون لصادق [الذاريات:5] وقال في آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون [الذاريات: 60])[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:1-14)

أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات تنبيها عليها وتشريفًا لها ودلالةً على الاعتبار فيها حتى يصير الناظر فيها إلى توحيد الله تعالى. وَالذَّارِياتِ: الرّياح بإجماع من المتأولين، وفي الرياح معتبر من شدتها حينًا، ولينها حينًا وكونها مرةً رحمة ومرةً عذابًا إلى غير ذلك. والحاملات وِقْرًا: هي السحاب الموقرة بالماء، أو هي السفن الموقرة بالناس وإمتاعهم. والجاريات يُسْراً: هي السفن في البحر وقال آخرون: هي السحاب بالريح وقال آخرون: هي الجواري من الكواكب، واللفظ يقتضي جميع هذا. يُسْراً معناه: بسهولة وقلة تكلف، والمقسمات أَمْراً: الملائكة والأمر هنا اسم الجنس، فكأنه قال: والجماعات التي تقسم أمور الملكوت من الأرزاق والآجال والخلق في الأرحام وأمر الرياح والجبال وغير ذلك، لأن كل هذا إنما هو بملائكة تخدمه، فالآية تتضمن جميع الملائكة لأنهم كلهم في أمور مختلفة.

والحاملات: السحاب، والجاريات: السفن، والمقسمات: الملائكة. وهذا القسم واقع على قوله: إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ، وتُوعَدُونَ يحتمل أن يكون من الإيعاد، ويحتمل أن يكون من الوعد، وأيها كان فالوصف له بالصدق صحيح، والدِّينَ: الجزاء. وقال مجاهد الحساب، والأظهر في الآية أنها للكفار وأنها وعيد محض بيوم القيامة. ثم أقسم تعالى بمخلوق آخر فقال: وَالسَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ فظاهر لفظة السَّماءِ أنها لجميع السماوات، وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي: هي

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، (159/28).

السماء السابعة. و: الْحُبُكِ بضم الحاء والباء: الطرائق التي هي على نظام في الأجرام، فحبك الرمان والماء: الطرائق التي تصنع فيها الريح الهابة عليها[1].

أُقسم بالسماء ذات الطرائق المحكمة: إنكم إذ تقولون – ما تقولون– لفي قول مضطرب. ينصرف عن الإيمان بذلك الوعد الصادق، والجزاء الواقع من صرف عنه، لإيثاره هواه على عقله، هلك الكذَّابون القائلون في شأن القيامة بالظن والتخمين، الذين هم مغمورون في الجهل، غافلون عن أدلة اليقين. يسألون – مستهزئين مستبعدين – متى يوم الجزاء؟. يوم هم مؤْقوفون على النار، يُصهرون بها، يُقال لهم : ذوقوا عذابكم هذا الذى كنتم في الدنيا تستعجلون وقوعه[2].

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:1-14)

يشتمل هذا المطلب على مسألتين، وقد جاءتا على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴾

---

[1] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (5/171-172)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

[2] لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، (766-767).

أخرج الإمام الطبري بسنده روايات متعددة صحيحة في تأويل: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾، والتي تحمل ذات المعنى، تذكر الباحثة واحدة منها: (عن أبي الطُّفيل[1]، قال سُئِل علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– عن ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾، فقال: الرّيح)[2]، (وعن عليٍّ أيضًا: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ قال: هي السّحاب؛ قال: فما ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴾؟ قال: هي السّفن؛ قال: فما ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾؟ قال: هي الملائكة)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في "المصاحف"، والدارقطني في "الأفراد"، والحاكم، والبيهقي في "شعب الإيمان"، من طُرقٍ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ –رضي الله عنه–)[4].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ۝٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ۝١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾

---

[1] أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني. أدرك ثماني سنين من حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وولد عام أُحد. قال محمد بن سعد: وقد رأى أبو الطفيل النبي – صلى الله عليه وسلم – ووصفه. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، (ت: 230هـ)، **الطبقات الكبرى**، (130/6)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ – 1990م.

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (354/10)، [صحيح].

[3] ينظر: المصدر السابق (354/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (663/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (234/3)، والبيهقي، **شُعب الإيمان**، (437/3).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ والمعنى: لصدق، فوضع الاسم مكان المصدر ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ يقول: وإن الحساب والثواب والعقاب لواجب، والله مجاز عباده بأعمالهم)[1]. (وعن مجاهد، قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ قال: الحساب)[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله:﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ قال: يوم يَدين اللهُ العباد بأعمالهم)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ أي: ذات الخَلْق الحسن)[5]. (وعن مجاهد، قوله:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ قال: المُتقن البُنيان)[6]، وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير)[7].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قال: مُصدّق بهذا القرآن ومكذِّب)[8]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[9].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (358/10)، [صحيح].
[2] ينظر: المصدر السابق، (358/10)، [صحيح].
[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (665/13).
[4] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (358/10)، [صحيح].
[5] ينظر: المصدر السابق، (360/10)، [صحيح].
[6] ينظر: المصدر السابق، (360/10)، [صحيح].
[7] السيوطي، **الدر المنثور**، (668/13).
[8] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (361/10)، [صحيح].
[9] السيوطي، **الدر المنثور**، (668/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (234/3).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة عن الحسن ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ﴾ قال: يُصرف عنه من صُرِف)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (وعن مجاهد، قوله:﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ قال: الذين يتخرصون الكذب)[3]، وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴾ يقول: في غَمرة وشُبهةٍ)[5]، وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[6].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ قال: يقولون: متى يوم الدّين، أو يكون يوم الدّين)[7]، وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[8].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن عكرمة[1] ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ قال: يعذّبون)[2]، وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس)[3].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (361/10)، [صحيح].
[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (668/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (236/3).
[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (363/10)، [صحيح].
[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (669/13).
[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (364/10)، [حسن].
[6] السيوطي، **الدر المنثور**، (670/13).
[7] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (364/10)، [صحيح].
[8] السيوطي، **الدر المنثور**، (669/13).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿فِتۡنَتَكُمۡ﴾ قال: حريقكم)[4]، وعزاه الإمام السيوطي: (لابن المنذر عن ابن جريج)[5].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾: يقول: ذوقوا عذابكم هذا الذي كنتم تستعجلون)[6]، وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير)[7].

تعقيب: على ضوء تفسير (الآيات:1-14) بالمأثور يلاحظ:

1. كثرة الروايات المأثورة في تأويل هذه الآيات عند الإمامين –الطبري والسيوطي–.
2. ترجيح الإمام الطبري بعض التأويلات على بعض، بالرغم من ورود الروايات المأثورة فيها، كترجيح القول (يعذبون بالإحراق) في تأويل: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ على القول (يكذّبون).
3. تغطية الروايات المأثورة للمعنى العام للآيات الكريمة، بل لا تكاد تخلو آية من هذه الآيات إلا ولها من المأثور ما يفسرها.
4. كثرة نقل الإمام السيوطي عن الإمام الطبري.

---

(1) عكرمة مولى ابن عبّاس: أحد التّابعين، والمفسّرين المكثرين والعلماء الربانيين، والرحالين الجوالين. وهو أبو عبدالله، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة، وكان أحد أوعية العلم، وليس يحتجّ بحديثه، ويتكلّم النّاس فيه. مات عكرمة سنة سبعٍ ومائةٍ. ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى (1408هـ-1988م).

(2) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (365/10)، [صحيح].

(3) السيوطي، **الدر المنثور**، (670/13). السند الذي –عن ابن عباس– [ضعيف].

(4) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (367/10)، [صحيح].

(5) السيوطي، **الدر المنثور**، (670/13-671).

(6) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (364/10)، [حسن].

(7) السيوطي، **الدر المنثور**، (670/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (235/3).

المبحث الثاني: جزاء المتقين وأوصافهم

يتكوّن هذا المبحث من مطلبين يبحثان في جزاء المتقين وأوصافهم (الآيات:15–23)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:15–23) لما قبلها، والمعنى العام لها.

المطلب الثاني: التفسير المأثور فيها.

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:15-23) لما قبلها، والمعنى العام لها

يتناول هذا المطلب مناسبة (الآيات:15–23) لما سبقها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:15–23) لما قبلها.

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾.

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:15–23) لما قبلها

(لمّا ذكر تعالى حالةَ الكفرة وما يَلقون من عذابِ الله، عقّبَ ذلك بذكر المتّقين وما يَلقون

من النّعيم ليُبيّنَ الفرق ويتبع الناس طريق الهدى)[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:15-23)

يقول تعالى مخبرًا عن المتقين لله -عز وجل-: إنهم يوم معادهم يكونون في جناتٍ وعيون، بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال، والحريق والأغلال. فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم، أي: من النعيم والسرور والغبطة، وقوله: {إنهم كانوا قبل ذلك} أي: في الدار الدنيا {محسنين} ثم إنه تعالى بيّن إحسانهم في العمل فقال: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون}، كانوا قليلًا من الليل هجوعهم ونومهم، وقال ابن عباس، وإبراهيم النخعي: {كانوا قليلا من الليل ما يهجعون}: ما ينامون.

وقوله -عز وجل-: {وبالأسحار هم يستغفرون} قال مجاهد، وغير واحد: يصلّون. وقال آخرون: قاموا الليل، وأخّروا الاستغفار إلى الأسحار. كما قال تعالى: {والمستغفرين بالأسحار} [آل عمران: 17]، فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن. وقوله: {وفي أموالهم حق للسائل والمحروم}: لما وصفهم بالصلاة ثنّى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة، فقال: {وفي أموالهم حق} أي: جزء مقسوم قد أفرزوه {للسائل والمحروم}، أما السائل فمعروف، وهو الذي يبتدئ بالسؤال، وله حق. وأما {المحروم} ، فقال ابن عباس، ومجاهد: هو المحارف الذي ليس له في الإسلام سهم. يعني: لا سهم له في بيت المال، ولا كسب له، ولا حرفة يتقوت منها. واختار ابن جرير أن المحروم: الذي لا مال له بأي سبب كان، قد ذهب ماله، سواء كان لا يقدر على الكسب، أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها.

---

[1] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (174/5).

وقوله: {وفي الأرض آيات للموقنين} أي: فيها من الآيات الدّالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه؛ ولهذا قال: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}: قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

ثم قال: {وفي السماء رزقكم} يعني: المطر، {وما توعدون} يعني: الجنة. قاله ابن عباس، ومجاهد وغير واحد. وقوله: {فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون} يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكّوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون. وكان معاذ –رضي الله عنه– إذا حدّث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنّك هاهنا[1].

المطلب الثاني: **التفسير المأثور** (**للآيات**:15-23)

يشتمل هذا المطلب على مسألتين، وقد جاءتا على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾

[1] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (7/416-420).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قال: قال مُطَرِّف بن عبد الله في قوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ قَلَّ ليلة تأتي عليهم لا يُصلّون فيها لله؛ إما من أوّلها، وإما من وسطها)[1]. وأورد الإمام السيوطي نحوه وعزاه: (لابن أبي شيبة، وابن جرير)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ قال: قليل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ قال: يُصلّون)[4]. وأورده الإمام السيوطي عن ابن عمر، وعزاه: (لعبد الرزاق، وابن شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه)[5].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ هذان فقيرا أهل الإسلام، سائل يسأل في كفه، وفقير متعفف، ولكيهما عليك حق يا ابن آدم)[6].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (369/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (673/13). ابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، (حديث: 6301)، (47/2)، بلفظ: (قال: " كان الحسن يقول: «قليلا من الليل ما يناموا» وكان مطرف بن عبد الله يقول: «كانوا قلَّ ليلة إلا يصيبون منها» وكان محمد بن علي يقول: " لا يناموا حتى يصلوا العتمة").

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (369/10)، [صحيح].

[4] ينظر: المصدر السابق، (369/10)، [صحيح].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (674/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (241/3). وابن أبي شيبة، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، (118/7).

[6] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (376/10)، [صحيح].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، في قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾قال: يقول: معتبرٌ لمن اعتبرَ)[1].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ (الروم:20) قال: وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحدٌ ما هو أسودُ أو أحمر، وهذا الكلام يتلجلجُ به، وهذا القلبُ أيّ شيء هو، إنما هو بضعةٌ في جوفه، ويجعل الله فيه العقل، أفيدري أحدٌ ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ يقول: الجنّة في السماء، وما توعدون من خير أو شرّ)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[4].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (376/10)، [صحيح].

[2] ينظر: المصدر السابق، (379/10)، [صحيح].

[3] ينظر: المصدر السابق، (381/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (680/13).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن الحسن[1] –البصري–، في قوله: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ قال: بلغني أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربّهم بنفسه فلم يُصدِّقوه")[2]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن أبي حاتم)[3].

تعقيب: على ضوء تفسير الآيات الواردة في هذا المبحث يرى الباحث أنّ:

1. معظم اختلاف أقوال مفسري السلف من قبيل اختلاف التنوع، لا اختلاف التباين والتضاد.
2. بعض الآيات لم يرد فيها تفسير بالمأثور، فقام الإمام الطبري بتأويلها بالمعنى العام، مثل تأويله قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾
3. هنالك آيات لم يرد فيها تفسير بمأثور سنده صحيح، أي أنه لم يرد فيها إلا الروايات الضعيفة.
4. من المحققين من لا يأخذ بكلام ابن زيد في التفسير بالمأثور لضعفه، ومنهم صاحب الصحيح المسبور، وبالمقابل من يأخذ بكلامه شريطة أن يكون من قوله هو –غير منقول عن أحد–، كالمحقق إسلام منصور. كما أن بعض المفسرين كالإمام الطبري وابن كثير كانا يأخذان بكلامه في التفسير بالمأثور.

---

[1] الحسن البَصْري، (21– 110هـ=642– 728م): الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد؛ تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، وسكن البصرة. ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (226/2).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (381/10)، [ضعيف، من بلاغات الحسن البصري].

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، (680/13).

المبحث الثالث: قصة ضيف إبراهيم –عليه السلام- ومهمتهم في إهلاك قوم لوط –عليه السلام-

يتكوّن هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:24–37) لما قبلها، والمعنى العام لها.

المطلب الثاني: التفسير المأثور فيها.

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:24-37) لما قبلها، والمعنى العام لها

يتناول هذا المطلب مناسبة (الآيات:24–37) لما سبقها من آيات السورة، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:24–37) لما قبلها.

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً

عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٣٧ ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:24-37) لما قبلها

(بعد أن أبان الله تعالى إنكار مشركي مكة للبعث والنشور، سلّى قلب رسوله -صلى الله عليه وسلم- ببيان أن غيره من الأنبياء عليهم السلام كان مثله، فقد أوذوا من أقوامهم، وأعرض هؤلاء عن دعوة رسلهم. وبدأ تعالى بقصة إبراهيم بعد إيرادها في سورة هود والحجر، لكونه شيخ المرسلين، وكون النبي -عليه الصلاة والسلام- على سنته، وإنذارًا لقومه بما جرى من الضيف، وبيانًا لإنزال الحجارة على المذنبين المضلين، حتى يتعظ أو يعتبر كفار قريش وأمثالهم إلى يوم القيامة. ثم سألهم إبراهيم عن شأنهم وسبب مجيئهم، فأخبروه بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط بحجارة من سجيل بها علامة تدل على أنها أعدت لهم)[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:24-37)

{هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاءوا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم، لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة، والعامل في إذ دخلوا على هذا: المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره: اذكر {فَقالُوا سَلامًا} نصب هذا لأنه في معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر، ورفع الثاني لأنه خبر تقديره: أمري سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (25/27).

التحية فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه، وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية تقديره: سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون أي لم يعرفهم، {قالَ أَلا تَأْكُلُونَ} يحتمل أن يكون ألا حضًا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية، {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} إنما خاف منهم لما لم يأكلوا.

{وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ} هو إسحاق –عليه السلام– لقوله: {فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ} [هود: 71] {فِي صَرَّةٍ} أي صيحة، وذلك قولها: {يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ} [هود: 72] وهو من صرّ القلم وغيره إذا صوّت، وقيل: معناه في جماعة في النساء، {فَصَكَّتْ وَجْهَها} أي ضربته حياء منهم وتعجبًا من ولادتها وهي عجوز، {وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} تقديره: قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟ {قالَ فَما خَطْبُكُمْ} أي ما شأنكم وخبركم، والخطب أكثر ما يقال في الشدائد {قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ} يعني قوم سيدنا لوط –عليه السلام–، {فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فِيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط –عليه السلام–، لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها، والمراد بالمؤمنين لوط –عليه السلام– وأهله: أمرهم الله بالخروج من القرية لينجو من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين[1].

[1] ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي (ت: 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (2/308–309)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ.

المطلب الثاني: **التفسير المأثور** (**للآيات**:24-37)

يشتمل هذا المطلب على مسألتين، وقد جاءتا على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠﴾

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل، حسيل[1])[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ قال: كان عامّة مال نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام البقر)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر)[4].

---

[1] (يُقَالُ لِوَلَدِ الْبَقَرَةِ إذا قَرَم أي أكل مِنْ نَبَاتِ الأَرض حَسِيل، قَالَ: والحَسِيل إذا هَلَكت أُمُّه أَو ذَأَّرتْه أي نَفَرت مِنْهُ فأُوجِر لَبَنًا أَو دَقِيقاً فَهُوَ مَحْسول)، ابن منظور، **لسان العرب**، (152/11).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (384/10)، [صحيح].

[3] ينظر: المصدر السابق، (384/10)، [حسن].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (681/13).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله: ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ قال: إسماعيل)[1].

وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم)[2].

تعقيب: الإمام الطبري لم يسلّم بهذا الخبر فقال: "وإنما قلت: عُني به إسحاق؛ لأنَّ البشارة كانت بالولد من سارة، وإسماعيل لهاجرَ لا لسارةَ"[3]. فمن هنا نرى أن صحة الخبر لا تعني صحة المعنى، وبهذا التمحيص والنظر في الأخبار برزت قوة ورزانة شخصية الإمام الطبري في تفسيره.

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، في قوله: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ قال: صيحة)[4]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس)[5].

وأخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، في قوله: ﴿صَرَّةٍ﴾ قال: أقبلت ترنّ)[6].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال: جبهتها)[7].

وعزاه الإمام السيوطي: (لسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر)[8].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (385/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (681/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (385/10).

[4] ينظر: المصدر السابق، (385/10)، [صحيح].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (681/13).

[6] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (385/10)، [صحيح].

[7] ينظر: المصدر السابق، (386/10)، [صحيح].

[8] السيوطي، **الدر المنثور**، (681/13).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن الضّحَّاك يقول في قوله: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ قال: لا تَلِد)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لسعيد بن منصور، وابن المنذر)[2].

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

لم يرد فيه شيء مأثور، وقال فيه الإمام الطبري: (يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ضيف إبراهيم لزوجته إذ قالت لهم، وقد بشروها بغلام عليم: أتلد عجوز عقيم ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ﴾ يقول: هكذا قال ربك: أي كما أخبرناك وقلنا لك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ والهاء في قوله: (إنه) من ذكر الرب، هو الحكيم في تدبيره خلقه، العليم بمصالحهم، وبما كان، وبما هو كائن)[3].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾

تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (387/10)، [حسن].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (681/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (387/10).

لم يرد فيه شيء مأثور، فقال فيه الإمام الطبري: (يقول: قال إبراهيم لضيفه: فما شأنكم أيها المرسلون ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ قد أجرموا لكفرهم بالله. ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ يقول: لنمطر عليهم من السماء حجارة من طين (مسومة) يعني: معلمة)[1].

انفرد الإمام الطبري عن الإمام السيوطي بما أخرجه بسندٍ ضعيف: (عن ابن عباس ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ قال: المسومة: الحجارة المختومة، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين، يعني للمتعدين حدود الله، الكافرين به من قوم لوط ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخرجنا من كان في قرية سدوم، قرية قوم لوط من أهل الإيمان بالله وهم لوط وابنتاه، وكنى عن القرية بقوله ﴿مَن كَانَ فِيهَا﴾ ولم يجر لها ذلك قبل ذلك)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ قال: لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضَيعة على أهله)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن أبي المثنى ومسلم أبي حسيبة الأشجعي: قال الله: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ لوطا وابنتيه، قال: فحلَّ بهم العذاب، قال الله: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾)[5].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (387/10).

[2] ينظر: المصدر السابق، (387/10)، [ضعيف].

[3] ينظر: المصدر السابق، (388/10)، [حسن].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (682/13).

[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (388/10)، [صحيح].

المبحث الرابع: قصص أنبياء آخرين مع أقوامهم

يشتمل هذا المبحث على مطلبين يتطرقان إلى دراسة المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:38-46)، المطلب الأول يتناول مناسبة الآيات لما قبلها، والمعنى العام لها، أما المطلب الثاني فيتطرّق إلى التفسير المأثور فيها، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:38-46) لما قبلها والمعنى العام لها

هذا المطلب يتناول مناسبة (الآيات:38-46) لما قبلها، والمعنى العام لها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:38-46) لما قبلها.

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:38-46) لما قبلها

(بعد أن ذكر ما كان من قوم لوط من الفسوق والعصيان، وما أصابهم من الهلاك جزاءً وفاقًا لما اجترحوا من السيئات تسلية لرسوله على ما يرى من قومه- عطف على ذلك قصص جمع آخرين من الأنبياء لقوا من أقوامهم من الشدائد مثل ما لقى هذا الرسول الكريم، فحقت على أقوامهم كلمة ربهم ونزل بهم عذاب الاستئصال وصاروا كأمس الدابر عبرة ومثلا للآخرين، فذكر أنه أرسل موسى إلى فرعون بشيرا ونذيرا فأبى واستكبر واعتزّ بقوته وجنده، وقال أنا ربكم الأعلى، فأغرق هو وقومه فى البحر. وأرسل شعيبا إلى عاد فكذبوه فأهلكهم بريح صرصر عاتية. وأرسل صالحا إلى ثمود فكذبوه فأخذتهم الصاعقة ولم تبق منهم أحدا، وبعث نوحا إلى قومه فلم يستجيبوا لدعوته فأخذهم الطوفان وهم ظالمون)[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:38-46)

وفى قصة موسى عظة، إذ أرسلناه إلى فرعون مؤيدًا ببرهان بيِّن، فأعرض فرعون عن الإيمان بموسى معتدًا بقوَّته، وقال: هو ساحر أو مجنون، فأخذناه ومن اعتز بهم فرميناهم في البحر، وهو مقترف ما يُلام عليه من الكفر والعناد، وفى قصة عاد عظة، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا خير فيها، ما تترك من شيء مرّت عليه إلا جعلته كالعظم البالي، وفى قصة ثمود آية، إذ قيل لهم: تمتعوا في داركم إلى وقت معلوم ، فتَجبَّروا وتعالوا عن الاستجابة لأمر ربهم، فأهلكتهم الصاعقة وهم يعاينون وقوعها بهم، فما تمكنوا من نهوض ، وما كانوا قادرين على

---

[1] المراغي، **تفسير المراغي**، (6/27).

الانتصار بدفع العذاب، وقوم نوح أهلكناهم من قبل هؤلاء ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله[1].

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:38-46)

يشتمل هذا المطلب على مسألتين، وقد جاءتا على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾

انفرد الإمام الطبري عن الإمام السيوطي بما أخرجه بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ يقول: بعذر مبين)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ قال: بعضده وأصحابه)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ قال: مليمٌ في عباد الله)[5]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[6].

---

[1] لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، (773-774).

[2] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (388/10)، [حسن].

[3] ينظر: المصدر السابق، (389/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور** (682/13).

[5] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (390/10)، [صحيح].

[6] السيوطي، **الدر المنثور**، (682/13). وعبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق**، (240/3).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾. قال: ليس فيها رحمةٌ ولا نباتٌ، ولا تُلَقِحُ نباتًا)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (للفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس)[2].

أخرج الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ إن من الرّيح عقيمًا وعذابًا حين تُرسل لا تُلقِّح شيئًا، ومن الريح رحمة يُثير الله تبارك وتعالى بهذا السحاب، وينزل بها الغيث. وذُكر لنا أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان يقول: "نُصرت بالصبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبور")[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله ﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ قال: الشيء الهالك)[4].

المسألة الثانية: تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري برواية عزاها للبيهقي في "سننه": (عن قتادة في قوله:﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾. قال: ثلاثة أيامٍ)[5].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (391/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (683/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (391/10)، [حسن].

[4] ينظر: المصدر السابق، (392/10)، [صحيح].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (685/13). البيهقي، **السنن الكبرى**، (62/10).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله ﴿ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ ﴾ قال: علوا)[1].

وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام وجعل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جعلت لهم الدالة على نزولها في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقِنين بأن العذاب بهم نازل، ينتظرون حلوله بهم)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله ﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ﴾ يقول: ما استطاع القوم نُهوضًا لعقوبة الله تبارك وتعالى)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله ﴿ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ قال: ما كانت عندهم من قوة يمتنعون بها من الله عزّ وجلّ)[5].

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾

لم يرد فيه شيء مأثور. وذكر الإمام الطبري اختلاف القَرَأَةُ[6] في قراءة قوله: ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾، فقرأ ذلك عامّةُ قرأةِ المدينة وبعضُ قرأةِ الكوفة ﴿ وَقَوۡمَ﴾ نصبًا، وقرأ ذلك عامّة قرأة الكوفة والبصرة (وقوم) بخفض القوم[7].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (393/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (685/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (393/10)، [صحيح].

[4] ينظر: المصدر السابق، (394/10)، [حسن].

[5] ينظر: المصدر السابق، (394/10)، [حسن].

[6] لجمع كلمة قارئ ثلاثة أوجه: قَرَأة، وقُرّاء، وقارئون، ينظر: الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، (49/1).

[7] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (394/10).

والصواب أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار، وهذا ما اختاره الإمام الطبري، فبأيَّتهما قرأ القارئ فمصيب[1].

تعقيب: من خلال تفسير الإمامين –الطبري والسيوطي– (لسورتي ق والذاريات) يلاحظ؛ أنه لم ترد الإشارة إلى اختلاف القرأة في قراءة أي آية من آياتهما إلا ما ذكره الإمام الطبري في الآية:46 من سورة الذاريات. فبذلك تكون هذه الآية؛ الآية الوحيدة التي فيها أكثر من قراءة متواترة.

[1] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، (377/2). (قال: (وَاخْتَلَفُوا) فِي: وَقَوْمَ نُوحٍ فَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِخَفْضِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِنَصْبِهَا).

المبحث الخامس: إثبات وحدانية اللّه وعظيم قدرته

يتكوّن هذا المبحث من مطلبين يبحثان في المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:47-51)، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:47-51) لما قبلها، والمعنى العام لها.

المطلب الثاني: التفسير المأثور فيها.

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:47-51) لما قبلها، والمعنى العام لها

يتناول هذا المطلب مناسبة (الآيات:47-51) لما سبقها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:47-51) لما قبلها.

المسألة الثانية: المعنى العام للآيات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:47-51) لما قبلها

(بعد إثبات وقوع البعث أو الحشر والمعاد لا محالة، أقام الله تعالى الأدلة على الوحدانية وعظيم القدرة، من خلق السماء محكمة البنيان، والأرض ممهدة كالفراش للاستقرار عليها، وخلق

الجنسين كالذكر والأنثى من كل نوع من أنواع الحيوان، والصنفين المتضادين من بقية الأشياء، عدّد الحسن البصري أشياء كالسماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة، وقال: كل اثنين منها زوج، والله تعالى فرد لا مثيل له)[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:47-51)

والسماء خلقناها وأتقناها، وجعلناها سَقْفًا للأرض بقوة وقدرة عظيمة، وإنا لموسعون لأرجائها وأنحائها، والأرض جعناها فراشًا للخلق للاستقرار عليها، فنعم الماهدون نحن، ومن كل شيء من أجناس الموجودات خلقنا نوعين مختلفين؛ لكي تتذكروا قدرة الله، وتعتبروا، فروا -أيها الناس- من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به وبرسوله، واتباع أمره والعمل بطاعته، إني لكم نذير بيِّن الإنذار، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا حزبه أمر، فزع إلى الصلاة، وهذا فرار إلى الله. ولا تجعلوا مع الله معبودًا آخر، إني لكم من الله نذير بيِّن الإنذار[2].

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:47-51)

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ قال: بقوّةٍ)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لآدم بن أبي إياس، والبيهقي)[4].

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (41/27).

[2] نخبة من أساتذة التفسير، **التفسير الميسر**، (522/1)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009م.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (395/10)، [صحيح].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (686/13).

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ قال: أوسعها جلَّ جلاله)[1].

انفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري بما عزاه: (لابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جريج في قوله:﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ قال: لنَخْلُقَ سماءً مثلها. وفي قوله:﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ قال: الفارشون)[2].

أخرج الإمام الطبري بسندٍ ضعيف: (عن مجاهد، قوله: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ قال: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والجن والإنس، والشمس والقمر)[3]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن المنذر)[4].

تفسير قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾

لم يَرِدْ فيه شيءٌ مأثور عند الإمامين –الطبري والسيوطي–، فقال الإمام الطبري فيه بالمعنى العام: (قول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتِّباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أُنذركم عقابَه،

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (395/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (686/13). لم تقف الباحثة على هذا القول عند ابن جرير.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (396/10)، [ضعيف].

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (686/13).

وأخوّفكم عذابه الذي أحلّه بهؤلاء الأمم الذي قصّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة. وقوله (مبين) يقول: يبين لكم نِذارته.

وقوله ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تجعلوا أيها الناس مع معبودكم الذي خلقكم معبودا آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ يقول: إني لكم أيها الناس نذير من عقابه على عبادتكم إلهًا غيره، مبينٌ قد أبان لكم النِّذارة)[1].

تعقيب: على ضوء تفسير (الآيات:47-51) بالمأثور يلاحظ:

1. قلة الروايات المأثورة التي جاءت فيها عند الإمامين –الطبري والسيوطي–.
2. بعض الآيات لم يرد فيها إلا الروايات الضعيفة.
3. هناك آيات لم يرد فيها شيئًا مأثورًا.

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (397/10).

المبحث السادس: تهديد المشركين بالعذاب لتكذيب النبي-صلى الله عليه وسلم-

يشتمل هذا المبحث على مطلبين يتطرقان إلى دراسة المعنى العام، والتفسير المأثور (للآيات:52-60)، المطلب الأول يتناول مناسبة الآيات لما قبلها، والمعنى العام لها، أما المطلب الثاني فيتطرّق إلى التفسير المأثور فيها، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: مناسبة (الآيات:52-60) لما قبلها والمعنى العام لها

هذا المطلب يتناول مناسبة (الآيات:52-60) لما قبلها، والمعنى العام لها، وذلك في مسألتين على النحو الآتي:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾

المسألة الأولى: مناسبة (الآيات:52-60) لما قبلها

(بعد بيان الأدلة على الحشر، وعلى إثبات الوحدانية وعظيم القدرة الإلهية، وتذكير المشركين بإهلاك الأمم المكذبة السالفة، بيّن الله تعالى أن كل رسول كُذِّب، وكأن التكذيب بين الأمم شيء متواصى به من الجميع، والواقع أنهم قوم طغاة تجاوزوا حدود الله، لذا أمر النبي –

صلى الله عليه وسلم- بالإعراض عنهم، علمًا بأنهم خلقوا لعبادة الله، لا لتحصيل المعايش والأرزاق، ثم ختمت السورة بتهديد مشركي مكة بعذاب مماثل العذاب من قبلهم من الأمم، والعذاب واقع بهم، لا شك فيه، ولا مردّ له)[1].

المسألة الثانية: المعنى العام (للآيات:52-60)

يقول تعالى مسليًا نبيه -صلى الله عليه وسلم-: وكما قال لك هؤلاء المشركون، قال المكذبون الأولون لرسلهم، أأوصى بعضهم بعضًا بهذه المقالة؟ بل هم قوم طغاة، تشابهت قلوبهم، فقال متأخرهم كما قال متقدمهم. فأعرض عنهم يا محمد، فما نلومك على ذلك. وذكر فإن الذكرى تنفع بها القلوب المؤمنة. فما خلقتهم إلا لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم.

أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم. فإن للذين ظلموا نصيبا من العذاب، مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون أي: فلا يستعجلون ذلك، فإنه واقع بهم لا محالة، فويل للذين كفروا من يوم القيامة[2].

---

[1] الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (47/27).

[2] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (426/7).

المطلب الثاني: التفسير المأثور (للآيات:52-60)

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ قال: أوصى أولاهم أُخراهم بالتكذيب)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر)[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مجاهد، قوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ قال: محمد –صلى الله عليه وسلم–)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ ذُكر لنا أنّها لمّا نزلت هذه الآية، اشتدّ على اصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ورأوا أنّ الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾)[4].

أورد الإمام السيوطي ما أخرجه: (أبو داود في "ناسخه"، وابن المنذر، عن ابن عباس في قوله:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ قال: أمره الله أن يتولَّى عنهم ليُعذِّبهم، وعذر محمدًا –صلى الله عليه وسلم–، ثم قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. فنسختها)[5].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (397/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (686/13). عبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق** ،(240/3)، بلفظ: " أَوْصَى أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ بِالْكَذِبِ".

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (399/10)، [صحيح].

[4] ينظر: المصدر السابق، (399/10)، [حسن].

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، (687/13). لم تقف الباحثة على الأثر.

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ إلا ليقرّوا بالعبودية طوعًا أو كرهًا)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن أبي حاتم)[2].

قال الإمام الطبري حدثنا ابن بشّار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عبّاس ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ قال يطعمون أنفسهم)[3].

وانفرد الإمام السيوطي عن الإمام الطبري بما: (أخرج أحمد، والترمذي وحسّنه، وابن ماجة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلّم–: "قال الله: ابن آدم، تفرّغ لعبادتي أملأْ صدرَك غنًى وأسُدَّ فقرك، وإلا تفعل ملأتُ صدرك شُغلًا ولم أسُدَّ فقرَك")[4].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (400/10)، [ضعيف]. لكن صاحب الصحيح المسبور حسّنه، والصواب أنه ضعيف؛ من أجل أبي صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (688/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (401/10)، [ضعيف]. لكن صاحب الصحيح المسبور حسّنه، والصواب أنه ضعيف؛ من أجل عمرو بن مالك النكري صدوق له أوهام كما قال ابن حجر في التقريب، وهذا يعني أنه يكتب حديثه ولا يحتج به، فقد ضعّفه أبو يعلى الموصلي، وابن عدي، والعقيلي.

[4] السيوطي، **الدر المنثور**، (689/13)، [صحيح]. وأحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (حديث: 8696)، (321/14) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2001م. والترمذي، **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، (حديث: 2466)، (224/4)، وابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (ت: 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، (حديث: 4107)، (1376/2)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ يقول: الشّديد)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (لابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في "الأسماء والصفات")[2].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن سعيد بن جُبير: ﴿ ذَنُوبًا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ ﴾. قال: سَجلًا من العذاب)[3].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن الحسن، في قوله: ﴿ ذَنُوبًا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ ﴾. قال: دَلوًا مثل دَلوا أصحابهم)[4].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن مُجاهد، في قوله: ﴿ذَنُوبًا﴾. قال: سَجلًا)[5].

أخرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا﴾. قال: سَجلًا من عذاب الله)[6].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (401/10)، [ضعيف]. لكن صاحب الصحيح المسبور حسّنه، والصواب أنه ضعيف؛ من أجل أبي صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، يكتب حديثه.

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (688/13). البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي، (ت:458هـ)، **الأسماء والصفات**، (حديث:68)، (118/1). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413هـ – 1993م.

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (403/10)، [صحيح].

[4] ينظر: المصدر السابق، (403/10)، [حسن].

[5] ينظر: المصدر السابق، (403/10)، [صحيح].

[6] ينظر: المصدر السابق، (403/10)، [حسن].

خرج الإمام الطبري بسنده: (عن قتادة، قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾. قال: عذابًا مثل عذاب أصحابهم)[1]. وعزاه الإمام السيوطي: (للفريابي، وابن جرير)[2].

تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾

لم يرد فيه شيء مأثور، قال الإمام الطبري فيه: (يقول تعالى ذكره: فالوادي السّائل في جهنّم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيّته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله، إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد)[3].

---

[1] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (403/10)، [صحيح].

[2] السيوطي، **الدر المنثور**، (690/13).

[3] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (403/10).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدّين، أما بعد:

فقد توصّلت الباحثة بعد دراسة التفسير بالمأثور في سورتي "ق والذاريات" عند الإمامين الطبري والسيوطي إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1. عدم وجود نص شرعي صحيح معتمد في تفسير الحروف المقطعة.
2. معظم اختلاف الأقوال في التفسير بالمأثور هو من قبيل اختلاف التنوّع والعبارة، لا اختلاف التضاد والتباين.
3. الإمام السيوطي أكثر جمعًا للروايات من الإمام الطبري.
4. تفسير الإمام الطبري أسلم من تفسير الإمام السيوطي، وذلك لخلوه من الروايات الموضوعة.
5. ذكر الإمامان –الطبري والسيوطي– روايات ضعيفة، إلا أن الإمام الطبري ذكر السند، أما الإمام السيوطي فاختصر السند فاختلط الصحيح بالضعيف.
6. اجتهد الإمام الطبري في تفسيره، ورجّح بين الأقوال، والروايات المأثورة، كما أشار إلى المعنى اللغوي لبعض مفردات الآيات. بينما اقتصر الإمام السيوطي على المأثور.
7. عزو الإمام السيوطي بعض الروايات إلى عدة مصادر بصيغة واحدة دون مراعاة اختلاف ألفاظها.

8. إمكانية ورود اختلاف وتباين في أحكام المحدّثين والمحققين على أسانيد بعض الروايات، لذا يبقى علم الجرح والتعديل علم بشري نسبي، ففي هذه الحالة الأسلم والأحسن اتباع قول جمهور المحدثين أو قول جُلّهم.

وأخيرًا أوصي أن تكون هناك دراسات في التفسير بالمأثور لكامل القرآن الكريم –بين الطبري والسيوطي– أكثر تخصصًا في نقد الروايات، وتمييزًا لصحيحها من سقيمها، ولعل أجدر الناس بذلك هم أهل صنعة الحديث.

وبعد، فالحمد لله الذي كتب الكمال المطلق لذاته العلية، والنقص من دونه للبرية، فهذا جهدٌ عراه النسيان والخطأ، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله وبكرمه وتسديده فله الحمد والمنّة، وما كان فيه من نقص وخلل فمن نفسي، فأسأل الله أن يغفر لي تقصيري وخطأي، وأن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله ويجعله من العلم الذي ينتفع به. وصلِّ اللهمّ وسلّم وزد وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

الفهارس العلمية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية[1]:

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة الفاتحة	6 – 7	﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	8
سورة البقرة	152	﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾	ب
سورة النساء	82	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	ز
	69	﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ... وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾	8
سورة الأنفال	60	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾	9
سورة يونس	62	﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	8
	63	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾	8
سورة لقمان	27	﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	30

[1] لم أفهرس لآيات سورتي (ق والذاريات) كونهما محور الدراسة.

سورة الفرقان	33	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	3
سورة يس	12	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾	5
	42	﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾	10
سورة الطارق	2	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾	8
	3	﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾	8

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	اللقب أو الكنية	رقم الصفحة
1	أبو الطفيل	76
2	ابن جريج	32
3	أبو حيان الأندلسي	4
4	الحسن البصري	85
5	سعيد بن جبير الأسدي	31
6	الضحاك بن مزاحم	32
7	عبد الله بن سلام	39
8	عبد الرحمن بن زيد	45
9	عدي بن حاتم	9
10	عكرمة بن عبد الله	78
11	قتادة بن دعامة	20
12	محمد بن عبد العظيم الزرقاني	6
13	محمد بن بهادر الزركشي	4
14	مجاهد بن جبر المكي	21

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، (ت: 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1419هـ.
2. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت: 235هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
3. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت: 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ-2001م.
4. الأزهري، محمد بن أحمد، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
5. أبو الشيخ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر، (ت: 369هـ)، **العظمة**، تحقيق: رضاء الله بن محمد، دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

6. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: 597هـ)، **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1386هـ.

7. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت: 458هـ)، **شعب الإيمان**، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ.

8. البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي، (ت: 458هـ)، **الأسماء والصفات**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413هـ – 1993م.

9. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، (ت: 728هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ– 1980م.

10. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية، 1418هـ.

11. الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002م.

12. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن ادريس المنذر التميمي، (ت:327هـ)، **الجرح والتعديل**، دار احياء التراث العربي، بيروت.

13. ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، (ت: 741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ.

14. الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح**، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة، 1413هـ.

15. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت: 852هـ)، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، دار رشيد، دمشق، 1406هـ.

16. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت:852هـ)، **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، 1326هـ، عدد الأجزاء: 12.

17. ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، (ت: 808هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.

18. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت: 681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

19. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، (ت:230هـ)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت' الطبعة: الأولى، 1410هـ – 1990م.

20. ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير –تحرير العقل السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد–**، الدار التونسية للنشر، 1984م.

21. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.

22. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1420هـ.

23. ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.

24. أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

25. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب المسمى بـ "التفسير الكبير"**، دار الفكر، بيروت– لبنان، 1995م.

26. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي، الأشقودري، (ت: 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ- 1992م.

27. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي، الأشقودري، (ت: 1420هـ)، **سنن الترمذي مع أحكام الألباني**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، د.ت.

28. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي، الأشقودري، (ت: 1420هـ)، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.

29. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

30. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، (ت: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984م.

31. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، (ت:279هـ)، **الجامع الكبير= سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ.

32. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت:816هـ)، **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، 1983م.

33. الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1987م.

34. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

35. حجازي، محمد محمود، **الوحدة الموضوعية في القرآن**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1970م.

36. الداني، عثمان بن سعيد، (ت:444هـ)، **البيان في عدّ آيّ القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة: الأولى، 1414هـ-1994م.

37. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت: 748هـ)، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

38. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1985م.

39. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 748هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،1995م.

40. الذهبي، محمد السيد حسين، (ت: 1398هـ)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م.

41. الرومي، فهد بن عبدالرحمن بن سليمان، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 1.

42. الزركشي، محمد بن بهادر، (ت: 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1957م.

43. الزبيدي، محمد بن محمد، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

44. الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1376هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سوريا، الطبعة: الثالثة، 1943م.

45. الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: 1396هـ)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة عشر، 2010م.

46. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.

47. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، 1993م.

48. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، **لباب النقول في أسباب التنزيل**، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

49. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، (ت: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

50. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، دار ابن جوزي، الرياض، الطبعة: الثانية، 1428هـ.

51. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

52. عكاوي، إنعام، **معجم المفصل في علوم البلاغة**، ضمن سلسلة الخزانة اللغوية، طبعة دار الكتب العلمية، د.ت.

53. عمر، أحمد مختار، (ت: 2003م) **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

54. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (ت: 170هـ)، **العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال، العراق، د.ت.

55. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م.

56. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة: التاسعة، 1996م.

57. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت:360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

58. الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى.

59. عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، (ت: 211هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ.

60. لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، الطبعة: الثامنة عشر، 1416هـ – 1995م.

61. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: 273هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

62. المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ)، **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة–مصر. الطبعة: الأولى، 1365هـ–1946م.

63. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، (ت: 742هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1400هـ.

64. مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

65. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، دار الجيل، بيروت، 2014م.

66. نخبة من أساتذة التفسير، **التفسير الميسر**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ – 2009م.

67. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت:303هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ.

68. ابن نصر، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت: 294هـ)، **مختصر قيام الليل**، فيصل اباد – باكستان الطبعة: الأولى، 1408هـ.

69. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:430هـ)، **تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان**، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ- 1990م.

70. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (ت: 468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1992م.